ديوان
يحيى بن حكم الغزال

جمعه وحققه وشرحه
الدكتور
محمد رضوان الداية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ٩٤٦
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م

لبنان ـ **بيروت** ـ ساقية الجنزير، خلف الكارلتون، س . ت ٥١٤٩٧
ص . ب (١٣٦٠٦٤) هاتف (٨٦٠٧٣٩) تلكس : FIKR 44316 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان
يحيى بن حكم الغزال

مُقَدِّمة
في حَيَاةِ الغَزَال وَشِعْرِه

كثر اهتمام متتّبعي القضايا الأندلسية بشخصيّة يحيى بن حكم الجيّاني الأندلسي المشهور بالغزال . ولا ينصب اهتمام المهتمين جميعاً على جانب واحد ... بل إنك تجد اهتمامهم به يتناول جوانب الشّعر ، وجوانب من التاريخ ، والشؤون الدبلوماسية المبكّرة في القطر الأندلسي . وتجد للغزال حديثاً في المشتغلين بالنُّجوم ، كما تجد له أخباراً في الظّرفاء .

ولا تزال الدراسات الأندلسية المعاصرة تهتم بشخصية الغزال وتمييز خصائصها ، وتهتّم بشعره الباقي من ديوانه الضائع ، وبتعيين أسفاره الرسمية في مهمات دبلوماسية ، وفي رحلته - أو تغريبه ؟ - إلى بلاد المشرق ... إلى غير ذلك من القضايا .

ومن ههنا كَثُرت المقالات ، والدراسات حول الغزال شخصه ، وشعره ، وأخباره ، وحوادث معاصرة له ، يُعَدُّ - هو - طرفاً فيها .

وقد عُنيت في هذا الكتاب بأمرين : أحدهما أن أقدّم مجموع شعر الغَزال الذي استطعت جمعه من كتب التراث الأندلسي وغيره ، فتسهل دراسته من جهة ، ويُضاف إلى المكتبة الأندلسية ديوان جديد ، على صغره ، وكونه قصائد ومقطعات مجموعة ؛ من جهة ثانية .

والثاني : أن أقدّم دراسة موجزة عن حياة الغزال وسفاراته ورحلاته ، تفسّر عدداً من النّقاط التي اختلف فيها المشتغلونَ به ، أو قدموا آراء مختلفة ، وأن أقدم ملاحظات في شعر الغَزال تفسّر بعضه من وجهة نظر تربط بين الشاعر ، وشعره ، وتحاول أن تبتعد عن النظرات الْجُزئية التي أدّت عند بعض دارسي شعر الغزال إلى اجتهادات بعيدة .

وأضع في حساب القارئ ، أن هذه الدراسة والملاحظات التي أقدّمها نابعةٌ من النّصوص التي بين أيدينا من شعر الغزال ومتعلقة بالأخبار الباقية عنه ؛ (وما ضاع من شعره أكثر مما بقي منه ؛ وما غاب عنّا من أخباره أكثر ممّا وصل إلينا) ؛ ولكي أرْسُم صورة للشاعر أعدت ترتيب الأخبار ، ومحّصتها وجعلت فيما بينها روابط منطقية ، متصلة بمنهج واضح محدّد .

[١]

ترجم الْحُمَيدي ، تلميذ الإمام ابن حزم ، في كتابه : جذوة المقتبس للشّاعر الغَزال ، ووصَفه وَصفاً يدلّ على تقصّيه وتتبعه وتقويمه فقال فيه : « يحي بن حكم المعروف بالغَزّال (بتخفيف الزاي) رئيس ، كثير القول ، مطبوع النظم في الحكم ، والجدّ ، والهزل . وهو مع ذلك جليلٌ في نفسه وعلمه ومنزلته عند أُمراء بلده »[١] . وسنرى أن لمعلومات الحميدي هذه عن الغزال قيمة كبرى في تصوير شخصية الغزال وتقويمه .

ووصفه ابن دحية الكلبي في الْمُطرب بأنه « شاعر ذلك الأوان »[٢] وهذا ؛ بالإضافة إلى كونِه حُكماً نقديّاً ؛ وصفٌ لمكانة الغزال في شعراء عصره ، وربّما في شعراء الدولة المروانيّة جميعاً .

ذكر الحميدي في جذوة المقتبس أن يحي بن حكم ولد سنة ١٥٦ هـ . وهو ينقل عن حبيب بن أحمد الشّطجيري الذي جمع شعر الغزال . وحبيب بن أحمد « شاعر من أعيان أهل الأدب ، مشهور ، أدرك أيام الحكم المستنصر ، وتوفي قريباً من الثلاثين وأربع مئة » . قال الحميدي فيه : « رأيته في أيام الصِّبا ولم أسمع منه شيئاً »[٣] . ومات الغزال سنة ٢٥٠ هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة[٤] .

وقد أدرك الغزال خمسة من أمراء الدولة المروانية بالأندلس ، وهم[٥] :

١ ـ عبد الرحمن بن معاوية (الملقب بالداخل) كان الغزال ـ حين توفي الداخل سنة ١٧٢ ـ ابن ست عشرة سنة .

٢ ـ هشام بن عبد الرحمن (ت ١٨٠ هـ) .

٣ ـ الحكم بن هشام (ت ٢٠٦ هـ) .

---

(١) جذوة المقتبس للحميدي (الدار المصرية للتأليف والترجمة) : ٣٧٤

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية الكلبي (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤) : ١٣٣

(٣) جذوة المقتبس : ١٩٩

(٤) جذوة المقتبس : ٣٧٥

(٥) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة : ٢/١

٤ ـ عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم (ت ٢٣٨ هـ) .

٥ ـ محمد بن عبد الرحمن (ت ٢٧٣ هـ) .

وهذا معنى قول الغزال[٦] :

أدركتُ بـالمصرِ ملـوكاً أربعَـهْ وخـامسـاً هـذا الّـذي نحنُ معَـهْ

ونجد في نسبة الغزال : يحيى بن حكم البكري ، الْجَيّاني ، المعروف بالغزال .

فَـ : البكري ، نسبة إلى بكر بن وائل ، فهو شاعر عربيّ الأرومة .

والجيّاني ، نسبة إلى مدينة جَيّان ؛ وكانت جَيّـان مركزاً كبيراً في مَوْسَطـة الأنـدلس ؛ وقـال ابن سعيد في صفتها : مملكة جليلة بوسطة الأنـدلس ، معروفـة بـالمحـارث والأخشـاب ، وهي بين غرناطة وطليطلة ومُرسية[٧] .

والغَزال لَقبٌ له ، لُقِّبَ بـه لحسنـه وجمـالـه . وقـد ظل الغزال وسيماً إلى مراحل متـأخرة من حياته . قال ابن دحية « وكان في اكتهاله وسيماً » . وأشار الأمير عبد الرحمن إلى لقبـه هـذا والغزال فوق السّبعين . وسيمرّ هذا الحديث .

وليس بين أيدينا ما يدلّ على مكان ولادة الغزال ، أكان جَيّان فهو جَيّـاني ولادةً ، أم غيرهـا ـ ولعلّه قرطبـة ـ فيكون أصلُـه من جَيّـان . وأول مـا بين أيـدينـا من أخبـار يـدلُّ على وجوده في قرطبة ، وهو في مقتبل الشّباب[٨] .

ولا نعرف له نشاطاً مسجّلاً في أيام عبد الرحمن ـ وكان الغزال حَدَثـاً ـ ولا في أيـام هشـام . ولكننا نجد له اسماً في أخبار وقعت أيام الحكم ، المعروف في التاريخ الأندلسي بالْحَكَم الرَّبَضِي .

فقد حضر الشاعر الفقيه القـاضي عبـاس بن نـاصح الجزيري إلى قرطبـة ـ وكان قـاضيـاً على الجـزيرة الخضراء بلـده ، وشَـذُونَـة ـ فجـاءه أدبـاء قرطبـة لـلأخـذ عنـه . ونقـل ابن سعيـد عن ابن حيّان : فمرّت عليهم قصيدة القاضي الجزيري :

---

(٦) نفح الطيب : ٢٥٥/٢

(٧) المغرب في حلى المغرب : ٤٩/٢

(٨) المصدر نفسه .

لعمركَ ما البَلْوى بعارٍ ولا العَدمْ   إذا المرءُ لم يعدمْ تُقى اللهِ والكَرمْ

حتى انتهى القارئ إلى قوله :

تجـافَ عن الـدُّنيـا فمـا لِمُعَجَّزٍ   ولا حـازمٍ إلا الَّذي خُـطَّ بـالقلَمْ

فقال له يحي الغزال ـ وهو حَدَثٌ ـ أيُّها الشيخ وما الـذي يصنع مُفَعَّل مع فـاعل ؟ فقـال : فكيف تقول أنت ؟ قال :

تجاف عن الـدنيـا فليس لعـاجزٍ   ولا حـازمٍ إلاّ الذي خُـطَّ بـالقَلَمْ

فقال عباس : والله ، لقد طلبها عمك ليالي فيا وجدها[☆] !

ونقـل الأستـــاذ محمـــد عبـــد الله عنـــان عن أوراق مخطـوطـــة (كانت) في حـوزة المستشرق ل. بروفنسال أن يحي مدح الحكم الربضي[٩] بقوله :

كأن الملوكَ الغُلب عندكَ ـ خُضّعاً ـ   خـواضـعُ طيرٍ تَتَّقي الصَّقْرَ لُبَّـدُ
تقلّبُ فيهم مقلـــةٌ (حَكَمِيّـــةٌ)   فتخفضُ أقوامـاً ، وقَـوْمـاً تُسَـوِّدُ

وتكون صلته بـالبيت المرواني ـ على هـذا ـ منـذ أيّام الحكم الرَّبضي على أقلّ تقـدير . وأكثر أخبار الغزال ، المسجلة ، كانت في أيام الحكم الرّبضي (حكم من ١٨٠ إلى ٢٠٦) .

[٢]

ويصح أن نقف عنـد عـدد من الموضوعـات في حيـاة الغزال ، وأخبـاره ، لـلإحـاطـة بهـا أو الإشارة الدالة عليها ، أو مناقشة آراء صدرت في شخصه وأخباره وشعره ، فنتبيّن معالم شخصيّتـه ، بمقدار مانستطيع من خلال أخبـاره وأشعاره .

نقل الْحُميدي في ترجمة الغزال مانصه إنه : « جليل في نفسه وعلمه ومنزلته عند أمراء بلده .. [و] أرسلـه بعض ملوك بني أميـة رسولاً إلى ملـك الرُّوم ... » وقـال ابن دحيـة في المطرب[١٠] إن

(☆) نبّهـه الغَزال إلى اختـلاف صيغـة (مُعَجّـز) ووزنها مُفَعَّـل عن (حـازم) ووزنهـا فـاعـل ؛ وأثر ذلـك في صنعـة الشعر وجريان الكلام ، وتناسق الأسلوب .

(٩) دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى عهد عبد الرحمن الناصر (الطبعة الثالثة) : ٢٥٠

(١٠) الجذوة : ٣٧٤ ، والمطرب : ١٣٦

عبد الرحمن (حكم مابين ٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ) : « كانَ ولاّه قبض الأعشار ببلاط مروان ، واختزانها في الأهراء ، وكان توسّل إليه بمديح مدحه به ... » . ومعروف أن الذي بعث الغزال سفيراً هو الأمير عبد الرحمن .

ويقتضي ترتيب الأخبار ، وما توحي به ، أن يكون الغزالُ تَقَرّب إلى البيت الأُموي بشعر مدَح فيه الأمير ، أو الأمير وغيره من البيت الحاكم . وأن يكون شعرُه نَفَق عندهم لحسنه . ثم انتبهوا إليه شاعراً مجيداً ، ورجلاً بارعاً ذكياً ، فضمّوه إليهم ، وقرّبوه ، واستخدموه في بعض المناصب ، وأرسلوه سَفيراً .

ونقل ابن عذاري في البيان المغرب[11] قال : دخل الغَزال الشاعر [على الأمير عبد الرحمن] فقال الأمير :

☆ جاءَ الأميرُ بحسنهِ وجمالِهِ ☆

فقال له الوزير (؟) أجزْ مابدأ به الأمير ! فقال الغزال :

قالَ الأميرُ مداعِباً بمقالِهِ جاءَ الغزالُ بحسنِهِ وجمالِهِ
أينَ الجمالُ من امرئٍ أرْبى على مُتَعَدِّدِ السّبعينَ من أحوالِهِ ؟..

إلى آخر الأبيات .

ومما بقي من شعره ، ماقاله في الأمير محمد[12] :

إنّ سَمِيَّ النبيِّ فضّلَهُ اللّـ ـهُ على كُلّ مَنْ مضَى وبَقِي
مدَّ لكَ الْمُلْكُ ساعِدَيْهِ لَدُنْ أقبلَ للْحُبّ (؟) مَدّ مُعْتَنِقِ

[٣]

وكانت شخصية الغزال متميّزة . فقد كان جميل الشكل ، وسيماً ؛ في شبابه وشيخوخته وكهولته .

---

(١١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي : ٩٣/٢

(١٢) المقتبس (د . مكي ـ بيروت) : ١٣٤

وعرف الغزال ـ طوال حياته ـ بالذّكاء ، والألمعيّة ، وحضور البديهة . وكانت هذه الصفات في جملة ماقرّبه إلى البيت الأموي .

وكان جريئاً ، صَريحاً ، يقول ما يعتقده ، ويصرح بما يجول في نفسه . ومن ههنا برز شعر الهجاء والتعريض والنقد الاجتماعي في ديوانه .

قال ابنُ دِحية في صِفته إنّه اختير سفيراً « لِما كان الغزال عليه من حدّة الخاطر ، وبديهة الرأي ، وحسن الجواب ، والنجدة والإقدام ، والدخول والخروج من كلّ باب[١٣] ... » ولم يصرفه عن هذه الصّراحة والجرأة والهجوم على ذوي المكانة كونه في المقرّبين إلى أهل الدولة والشأن ، ولا مناصبه الإدارية والسفارية . فقد كان الغزال ذا وجه واحد ، ومن ههنا ـ في تقديري ـ كان احتمالُ الدولة له ، واغضاؤها عن شعره الشّديد على بعض القواد والقُضاة والمقرّبين كنصر الخصي والقاضي يُخامر الشّعباني ، وزرياب المغني الأثير لدى مُضيفيه المروانيّين . فقد كان يصدُر في شعره ـ وهو آراءٌ ، ومواقفُ ـ عن منهج واحد . واضح ، وعن مبدأ شخصي أمينٍ سليم .

وكان الغَزال مثقّفاً ثقافةً واسعة ، وأضافَ إلى معرفته الْمُتوقَّعة في العلوم النقليّة معرفةً بأشياء من العُلوم العقليّة ، مما يدخل في علوم الأوائل ؛ فقد وصَفه الْمَقّري بالعَرّاف لمعرفته بعلم النجوم[١٤] . وفي شعره الباقي ما يدلّ على ممارسته شيئاً من ذلك (القطعة ١٥) . ويضاف إلى هذه الأوصاف أنه كان ـ في شبابه الأوّل على الأقل ـ مِتلافاً ، قليل الاحتراز . فقد مدح الأمير عبد الرحمن وطلب عملاً (مناسباً له) فولاّه قبض الأعشار ببلاط مروان (؟) واختزانها في الأهراء[☆] (ويبدو أنّ الغَزال كان على معرفة اشتهرت له بعِلم الحساب ، وهذا مفهومٌ لاشتغاله بالفلك والنجوم) . قال ابن دحية[١٥] : فنفَق الطّعام في ذلك العام وسَما السّعر بالقحط سموّاً كثيراً ، فوضع يده في البيع حتى أتى على ما كان عنده في الأهراء . ثم إنه نزلَ الغيث ورَخُص الطعام . فأُعلم السُّلطان بما صَنع الغزال من البيع ، فأنكره وقال : إنّما تُعدّ الأعشار لنفقات الجند ، والحاجة إليها في الجهد فماذا صنَع الخبيث ؟ خُذوه بأداء ما باع من أثمانها ، واشتروا به طعاماً ، واصرفوه في الأهراء إلى وقت الحاجة إليه .

---

(١٣) المطرب : ١٣٩

(١٤) نفح الطيب : ٢٥٤/٢ ، وهو ينقل عن ابن حيان . وانظر أيضاً المقتبس (لابن حيان) ـ طبعة مصر ـ ١٥٢

(☆) الْهُري : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السُّلطان (جمعه أهراء) : الوسيط .

(١٥) المطرب : ١٣٦

فلَمّا طُلب منه ثمنُ ماباع أبي من ذلك ، وقال : إنّما أشتري لكم من الطعام عدَد مابعتُ من الأمداد ؛ وبين العَددين بَونٌ كثير نحو من ثلاثين ألفاً . فأُعْلِمَ السّلطان بامتناعه من الأداء ، وبما ذهَب إليه من شراء مثل ما باع . فأمَر بسَجْنِه ، وحمله إليه في الكَبْل ، فَسِيق منها إلى قُرطبة . وسُجن بها فصَنع هذا القصيد ـ يعني الذي أوله :

لا خَيْرَ في الصَّبْوَةِ للأشْيَبِ بعضَ تصابيكَ على زينبِ

ورفعه إليه . فلما قُرئ شعره أعجب به ، وأُعجب به الحاضرون ، وقال له بعضُهم : لقد أُنصفك الغَزالُ في قوله :

قد أحسن الله إلينا مَعاً أنْ كان رأسُ المالِ لم يذهبِ !

فإنَّهُ لو ذهَب أيُّها الإمام ، أيُّ ذمّةٍ كانت تَفِي به للغَزال ، مع ماهو عليه من الانهاك وقلة المال ؟

وينتهي الخبر بإطلاق الغَزال .

ويتوجَّه تفسير الخبر على قلة الاحتراز ، والإتلاف ، أكثر مما يتوجه إلى صفات أخرى من الاحتجان والْجَشَع ؛ لأن مجريات حياة الغزال وأخباره فيما بعد لاتدلّ على مثل ذلك . ولا يمنع ذلك التفسير من أن نضيف إلى القصّة ، ما عُرف به الغزال من ميلٍ شديدٍ إلى الدُّعابة ؛ فقد عُرف بميله إلى الدُّعابة وتناول الأمور من أيسر أبوابها . حتى إن هذه الدُّعابة والروح المرحة لم تغادره في بعض الأوقات الحرجة حقّاً . ومن ذلك تصويرُه لهياج البَحر في رحلته سفيراً إلى النّورمان حتى كادت السّفينة تغرق وكاد مَنْ فيها يهلك . قال مخاطباً زميل رحلته المسمى باسمه (يحيى) :

قال لي يَحْيى وصِرْنا بينَ مَوجٍ كالجبالِ
وتولّتْنا رِيَاحٌ من دَبُورٍ وشمالِ
شقّت القَلْعَيْن وانبتّـ ـتْ عُرى تلكَ الجِبالِ
وتمطّى مَلَكُ المو تِ إلينا عن حِيالِ
فرأينا الموتَ رأيَ الـ ـعَيْنِ حالاً بعدَ حالِ
لم يكنْ للقومِ فينا يا رفيقي رأسُ مالِ !

[٤]

وفي أخباره ، وفي شعره أيضاً ، معلومات يمكن الاستفادة منها في تشكيل صورةٍ للرّجل وفي تقويمه من حيث سلوكه ، وقيمه التي يأخذ بها ، وفي مَعاييره التي يقيس بها ، ويصدر عنها في معاملة الناس ، والانخراط في المجتمع .

ولكن بعض الأخبار ، والأشعار ، ـ لطول العهد ، وعيشه ما يقرب من القرن ، ولطبيعة هذه الأخبار والنتف الواردة ـ قد تسمح باختلاف الرّأي هنا وهناك في أمور حياته ومعاييره وأخلاقه وشعره .

ولكي نسلك مسلكاً معقولاً ، أو لنقل مُتّسقاً بعضُه مع بعضه الآخر ، لابدّ من اعتماد ملامح واضحة لشخصية الغزال ، وتأويل بعض ما يفضُل من المعلومات الواضحة أو المطّردة ، وتأويل بعض شعره أيضا .

إن من يعمّم أخباره وأشعاره في الدُّعابة ، المتجاوزة إلى حدّ الإفراط أحياناً يخطئ في تصوير شخصيّته . والذي نأخذ به في هذا المجال ، أن هذه الدعابة والروح الوثابة المرحة كانت طبعاً ملازماً له ، لا يَطعن في تماسك شخصيّته ، ولا في النظرة الجادّة الْمُعجَبَةِ من الناس عامة ، ومن الأمراء الحكام خاصّة ؛ حتى إن الأمير نفسه داعبه .. كما مرّ من قبل .. وكان هذا بعد بلوغه السبعين ، فما بالك بما سبق ؟

ويتبع هذه الملاحظة ، ما نجده من شعره الذي قاله في طريقة ابن حكيمة شاعر الْمُجون العبّاسي المعروف (القطعة ٦ و ٧) . فهو لم يزد في هذا الباب على الْمُحاكاة والتقليد ، وقصد الإجادة ، والدُّعابة .

وقد أكثر ابنُ حَيّان فيما نقله من أشعاره ، وأخباره ، من التنبيه إلى الغزال باعتباره شاعراً هَجّاءً أو مُقذعَ الهجاء . وأورد نُبَذاً من أهاجي الغزال في الخصي المتنفِّذ : نصر ، وفي المغني الشّهير : زرياب . وأورد ابن حيّان وغيره من أصحاب كتب التراجم قطعاً من شعر الغزال في هجاء القاضي يُخامر ، وفي هجاء بعض العُدول ، ممن غفل عنهم القاضي مُعاذ الشعباني إلى غير هؤلاء .

وقد عَمَّم بعض المعاصرين هذه الحوادث[١٦] ، وغيرها ، وجعلوا الغزال شاعراً سليطاً هجّاء (بتشديد الجيم) وأنه تناول الفُقهاء فلم يرحمهم - جميعاً - .

والذي أراه هنا أنه لا يصح تعميم هذا الحكم . ولا يصحّ أن نجعله منهجاً يُهتدى به[١٧] . إن هجاء الخصي (نصر) المتنفذ ، المسرف في استغلال السلطة كان لفتةً ذكية جريئة من الغزال . وقد انتهى (نصر) مَسْمُوماً . أجْبَره الأمير عبد الرحمن على شرب سم أعدّه نصر لقتل الأمير !

وهجاء الغزال لزرياب ، كان ، فيما يبدو لي ، لِما وُصف به زرياب من عُجب وتيهٍ وصَلَف . وما أَظُنّ الغزال كان يعبّر عن رأيه وحده . ولا تذكر الأخبار مسألة بعينها كانت بين الشاعر ونصر ، أو بينه وبين زرياب ؛ ولا يغيبُ عن البال أن مكانة زرياب (الوافد من مكان بعيد) وهي مكانةٌ عالية قد أحفظت فئة غير قليلة من الأدباء والشعراء وغيرهم من الأندلسيّين .

أما الفقهاء فما تحسّ في حياته وأخباره قضية خاصة بهم . ولكنّ الغزال كان ينقم سوء استعمال المنصب أو كان ينطق بلسان الناس ، (أو جمهرتهم) . ونجد في هجومه على بعض القضاة أو الفقهاء أو العُدول (الأسباب الموجبة) للْهُجوم : هجاءً أو تعريضاً أو تحذيراً . فإذا أخذنا بهذا التفسير استقام لنا أيضاً أن نفهم ، ونقدّر ، موقفه من كل مستغل وجامع للمال (الحرام) ، وموقفه الزاهد في الدنيا ، غير المكترث بالمال غير المحتفل به . (ومن هنا نفهم تبديده في شبابه الأول وقلة احترازه) .

وهكذا ، لا يكون الغزال شاعراً هجّاء (شتّاماً) ، ولكنه شاعر انتهجَ النقد الاجتماعي ، ولم يكن أحد عنده فوق مستوى النَّقد . وكانت نماذجه المنقودة من الرؤوس : نصر ، وزرياب ، ويُخامر . وهم : متنفذٌ كبيرٌ ، ومغني الأمير وضيفه ، وقاضيه .

من الصّعب أن نرسم خَطّاً واضحاً لمجرى حياته (على امتداد قرن من الزّمان) في مواقفه الحياتية والفكرية . وتقف أمامك أخبار هنا وهناك لابدّ من قبولها كما هي أو تأويلها بما ينسجم مع ملامح الشخصية الواضحة .

(١٦) أخذ بهذه الفكرة الأُستاذ محمد عبد الله عنان وكرّرها : في مجلة الرسالة سنة ١٩٣٦ ، العدد ١٣٢ ، ص ٤٨ - ٥٠ ، وفي مجلة الثقافة (المصرية) العدد ٢٦١ ، محرم ١٣٦٣ - ديسمبر ١٩٤٣ ، وفي تاريخ الإسلام في الأندلس .
وانظر أيضاً مقالة الأستاذ حكمة علي الأوسي : مجلة المجمع العراقي - المجلد ٢١ - عام ١٩٧١ ، ص ١٥٦

(١٧) نسب الدكتور محمود مكّي أبياتاً مجهولة القائل للغزال لأنها في هجاء أحد القُضاة . وهذه ملاحظة عابرة تؤكّد وقوعه في ظل رأي ابن حيّان . ولكنه مدقّق ومحقّق .

ـ مثلاً : قدّم ابن سعيد لإحدى قصائد الغزال فقال في قصة لقاء الغزال بزوج ملك القسطنطينية مانصه[١٨] : « وحصَل له أنس مع السُّلطان وزوجه فجاءته ليلة بخمر وقالت له : اشرب هذه مع ابني هذا ، وكان غلاماً بديع الجمال ، فذكر أن ذلك لا يجوز في دينه ، ثم ندم وقال ... الأبيات (القطعة ٥٠) فقدّم ابن سعيد عرضاً دراماتيكياً للقطعة في قوله (ثم ندم فقال) وقد ذكر تمام بن علقمة فيما رواه عن الغزال ما يدلّ على أنه كان يتصرّف مع الملكة بما تقتضيه الكياسة الدّبلوماسية ، كما أنه نظم الشعر الذي كان يُترجم لها ويسرّها سروراً عظيماً[١٩] . وعبارة ابن سعيد « ثم ندم » مجازفةٌ منه .

ومن شعره الصَّحيح النسبة إليه : مهاجمته لعبة الشطرنج ، وتحذيره منها لما فيها من ضَياعٍ للوقت ومن صرفٍ عن مواطن الرِّزق . ومن شعره الصحيح النسبة أيضاً قصيدة طويلة قالها في وقت غير متأخر من حياته (أواسط عمره أو قبيل ذلك) تعد نظاماً أو دستوراً حياتيّاً يعلن فيها آراءه في ضرورة السُّلوك القويم ـ من كل أحد ، ابتداءً من نفسه ـ والبُعد عن الخمر ، والبعد عن الإسراف إلى درجة الاكتفاء بالنبات عن الحيوان ... إلخ . قال :

لعمريَ مامَلّكتُ مِقْوَدِيَ الصِّبا   فأمْطُوَ للذّاتِ في السَّهلِ والوَعْرِ
وما أنا مِمَّنْ يُؤثرُ اللَّهوَ قلبُه   فأُمسيَ في سُكرٍ وأصبحَ في سُكرِ

ونجد في شعره الغزلي ما يقرب من نَفَسِ العُذريين كما نجدُ شعراً غزلياً مكشوفاً أحياناً ، ولكن هذا يتبع واقعية الغزال وجرأته في النقد الاجتماعي .

والذي أطمئن إليه أنَّ الغَزال كان على منهج يستقيم مع شاعر مشهور ، موظّف في الدولة مُقَرَّبٍ من الأمير ، سفير دولته لدى دول أخرى : يتصف بالتماسك ، وسلامة الطريقة .

ومن جهة أُخرى فإن هجومه على (سلسلة السُّوء) وسِواهُم من المستغلين لمناصبهم لا يطعن في سلامة طويته ، وحُسن عقيدته .

ونتأوّلُ الأخبارَ بعدم دقّة سياق الخبر (كما صنع ابن سعيد لأنه دوّن كتابه في وقتٍ متسامح) أو بِصُدور شعرِ الغَزال في الأدب المكشوف ، وما في شِعرِه ، من ذكر الخمرة ... إلخ بما

(١٨) المغرب : ٥٧/٢ ـ ٥٨

(١٩) المطرب : ١٤٣

يُلائم الفنّ وأغراضه ، والرغبة في محاكاة الشعراء المشارقة ومُساماتهم : كأبي نُواس وابن حكيمة وأمثالها .

[٥]

كثر الحديث في كتب الدراسات المعاصرة ، والمجلات التراثية وغيرها ، عن تكليف الغزال بمهمة السَّفير . واضطرب عدد ممّن درسوا هذا الجانب في تعيين عدد سفاراته بين واحدة أو اثنتين ، وفي تعيين الجهة التي أرسل إليها . ومن أسباب ذلك أن بعض كُتب التراجم ذكرت سفارته إجمالاً . قال الْحُميدي مثلاً[٢٠] : « أرسله بعض ملوك بني أمية بالأندلس رسولاً إلى ملك الرُّوم ... » وتحدث ابن دحية عن رحلته إلى بلاد المجوس (النورمان) . وقد اهتم عدد من المستشرقين : المؤرخين والجغرافيين والمهتمين بالأدب والدبلوماسيّة ... إلخ برحلات الغزال ، وكتب الباحثون العرب والمؤرخون فيها[٢١] . ويصرُّ ل . بروفنسال على أنها رحلة واحدة إلى القسطنطينية . واختلف الذين قالوا برحلةٍ للغزال إلى بلاد النورمان في تعيين البلاد التي رحل إليه سفيراً ، فبعضهم يرى أنها كانت إلى زيلندة والدانمارك ، وبعضهم يرى أنها إلى إيرلندة ، وبعضهم يرى أنها كانت إلى الدانمارك[٢٢] .

(٢٠) جذوة المقتبس : ٣٧٤

(٢١) مثلاً : سلسلة محاضرات عامة في : أدب الأندلس وتاريخها ، ل.بروفنسال ، القاهرة ١٩٥١

وحضارة العرب في الأندلس : ٧٢ : له . والشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية ، تطوان ١٩٥١ : له . والإسلام في المغرب والأندلس ، القاهرة ١٩٥٦ : له .

و : دراسات في تاريخ الأدب العربي ، كراتشكوفسكي ، موسكو ١٩٥٥ ، ص ١٠١

و : الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ، د . إسمت غنيم ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص : ٧٧

و : تاريخ الفكر الأندلسي ، بالنثيا ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٥٥ ـ ٥٦

و : دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر : ٢٧٨ ـ ٢٧٩

و : غارات النرمانيين على الأندلس (مجلة الجمعية المصرية) : ١٨

و : مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد . الجزء ٩ و ١٠ . مقالة د . محمود علي مكي .

(٢٢) راجع ما لخصه الدكتور حسين مؤنس في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (مايو ١٩٤٩ جـ٢ ، ع ، ١) . وانظر الأمويّون : أمراء الأندلس الأوّل ، دار النهضة العربيّة ١٩٦٩ للدكتور أحمد إبراهيم الشعراوي .

و : حول السّفارات الأندلسية إلى دول أوربة ١٢٨ ـ ٣٦٦ هـ الموافق ٧٥٥ ـ ٩٧٦ م . للدكتور محّمد أحمد أبو الفضل ، الجمعية التاريخية بجامعة الإمارات العربية المتحدة (دون تاريخ) .

وانظر مجلة Byzantion XII لسنة ١٩٧٣ ، مقال ل . بروفنسال :

Un Echange d Embassades entre Cordoue de Bezance a IX siecle

ولم يعد ثمة مجال للشك في أن الغزال قام برحلتين ، سفيراً عن الدولة المروانية أيام عبد الرحمن الأوسط : إحداهما إلى قسطنطينية سنة ٢٢٥ هـ ، في رسالة جوابيّة إلى الإمبراطور تيوفيل . شرّق فيها الغزال منطلقاً من مرسية على الشاطئ الشرقي . وكانت بيزنطة ، بعد هزيمتها في وقعة عموريّة سنة ٢٢٣ هـ رغبت في التقرّب إلى دولة بني مروان بالأندلس ، في محاولة لتخفيف الضغط عليها .

والرحلة الثانية ، كانت في الأرجح إلى جُتْلَنْد (الدّانمارك) سنة ٢٣٠ هـ بلاد النرمان . (وسماهم المسلمون مجوساً ، لأنهم كانوا يكثرون من إيقاد النيران ، أو لأنهم كانوا آنذاك لا يزالون على الوثنيّة)(٢٣) .

وكان النُّرمان قد أغاروا على مواضع من الأندلس ووصلوا إلى إشبيلية ، وجَرَت بينهم وبين الأندلسيين معارك . ثم جاءت رحلة الغَزال إلى النُّرمان سفارة جوابيّة ردّاً على رسالة ، مع وفد ، دانمركي قدم رغبة ملكهم « لعقد علاقات سلميّة ومعاهدة صداقة »(٢٤) .

وفي تعيين الملك ، والمرأة التي لقيها الغزال ، أو الملكة ، أقوال مفصّلة في مظانّها(٢٥) .

واختلف تقويم المؤرّخين للنتائج البعيدة للرحلتين . ولم يختلفوا في نجاح الرحلتين في وقتيهما ، ولا في نجاح الغزال سفيراً بارعاً ، متفنّناً .

= وانظر أيضاً :

Histoire De L Espange Musulmans - Tome 1, P.253.

وراجع :

Vasiliev - Byzance. 1, P. 186-187

(٢٣) تاريخ الأدب الجغرافي ، كراتشكوفسكي ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ١٣٥/١ - ٠٣٦
وتاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : ١٠٥/١
وتاريخ ابن خلدون : ١٣٠/٤
ونفح الطيب : ٣٤٦/١

(٢٤) أندلسيّات د . عبد الرحمن حجي : ٦٨/١ . وسمّى الملك : هوريك .Horic

(٢٥) كتاب آلين W.E.D.ALLEN
عرضه د . محمود مكي في مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد . والكتاب مطبوع سنة ١٩٦٠ لندن .
وانظر مقالة الدكتور مؤنس (غارات النرمانيين على الأندلس) .

قال كراتشكوفسكي في تاريخ الأدب الجغرافي[٢٦] في الغزال : « هو يحي بن حكم البكري (١٥٣ ـ ٢٥٠ / ٧٧٠ ـ ٨٤) ـ هكذا ذكره ـ الملقب بالغزال لجماله . لعب دور الديبلوماسي مَرّتين ، وهو شاعر فنّان وعلى معرفة بعددٍ من اللُّغات » .

[٦]

وفي حياة الغزال مسألة أخرى : هل نُفِيَ الغَزال إلى الْمَشْرق ؟

في عبارة نفح الطيب إيهام ، اعتمد عليها بعض المعاصرين فقرّر أنه لما هجا زرياب نفاه الأمير عبد الرحمن إلى المشرق[٢٧] . قال الْمَقّري : « وكان الغزال أقذعَ في هجاء عليّ بن نافع المعروف بزرياب ، فذكر ذلك لعبد الرحمن فأمر بنفيه فدخل العراق وذلك بعد موت أبي نواس بمدّة يسيرة ... »[٢٨] ولكن عبارة ابن دحية أكثر دقّة واتساقاً مع طبيعة علاقة الغزال بالدولة المروانية . قال : « فشكا [زرياب] للسلطان الغزال وعرض هجومه عليه ، وما قذفه به ونسبه ... إليه ، فأمر السلطان بنفيه عن الأندلس فكلّمه فيه أكابرُ دَولته ، فتركه . ثم إن الغزال لم يطب نفساً بالمقام في الأندلس فرحل إلى العراق وذلك بعد موت الحسن بن هانئ بمدّة يسيرة ... » .

وتسقط دعوى (نفي) الغزال ، فهي وهمٌ لا شكّ في ذلك[٢٩] .

ويبقى السّؤال : هل رحل الغزال إلى المشرق ؟ ليس من خبر يدفع ماذكره ابن دحية من رحلته إلى المشرق ، وإن كنّا لا نملك أخباراً واضحة عن مدة غيابه ، ولا تفاصيل واسعة عن مجرى الرّحلة ، ومنتهاها في المشرق .

غير أنّ في شعره أكثرَ مِن شَكوى ينقلُها على لسان زوجته أو مخاطَبته التي تعاتبه على كثرة

---

(٢٦) ١٣٥/١

(٢٧) زرياب (أبو الحسن علي بن نافع) موسيقار الأندلس : د . محمود أحمد الحفني : ١٢٧

(٢٨) نفح الطيب : ٢٦٠/٢

(٢٩) يؤيّد ذلك ويدعمه أن للغزال قصيدة يشمت فيها بنصر الخصي بعد موته ويعرّض بزرياب الذي أسكنوه دار نصر بعده . ولو كان نُفي بسبب زرياب لتورّع عن أيّ هجاء أو تعريض بعيد أو قريب ، والأمير عبد الرحمن نفسه لا يزال على رأس الإمارة .

الأسفار ، وأسفاره البعيدة (القطعة ٢٧ ، والقطعة ٢٩) مما يدعم الأخبار القليلة عن كثرة أسفاره ، ورحلته إلى المشرق .

قال مثلاً (القطعة ٢٩) :

جعلتُ أرجّيها إيابي ومَنْ غَدا   على مثل حالي لا يكادُ يَحُورُ!

وقال من بيتين وردا في بهجة المجالس (القطعة ٣٠ من الديوان) :

وإن مقامي شطرَ يومٍ بمنزلٍ   أخافُ على نفسي به لكثيرُ!

وقال :

وإن كنت تبغينَ الوَداع فبالغي   فدونك أحوالٌ -أرى- وشهور!

[٧]

والمعروف من تراث الغزال :

١ - ديوان شعر ، ضائع . هو ديوان كبير الحجم كثير القصائد . قال الحميدي : وشعره كثير مجموع ، جمعه حبيب بن أحمد الشطجيري ، ورتّبه على الحروف .[٣٠]

٢ - « تاريخ ألّفه كلّه منظوماً » كما نقل المقري في النفح[٣١] . أو أرجوزة في فتح الأندلس « كانت جميلة طويلة ، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين والنصارى وأطال الحديث عن أمراء هذا الصقع في أسلوب جميل فيه عمق . وكانت شائعة متداولة بين أيدي الناس » كما نقل عن ابن حيان في تاريخ الفكر الأندلسي[٣٢] .

[٨]

وقد اهتم الأندلسيون بشعر الغَزال ، وتناقلوه ، وجمعه أديبٌ من أدباء الأندلس هو (حبيب بن أحمد الشّطجيري) وفي الأخبار عناية (عُبادة الشاعر) بالغزال ، وأظنه عُبادة ابن

(٣٠) جذوة المقتبس : ٣٦٤ و ١٩٩

(٣١) نفح الطيب ١٨٢/٣

(٣٢) ص ٥٦

مـاء السماء الشـاعر الوشـاح (القطعـة ٤٢) وروى الحميـدي بعض شعره عن ابن حزم عن محمـد بن عمر بن مَضاء (؟) .

ونَشر ابنُ عبد ربه في (العقد) قصائد مطولة من شعره بالإضافة إلى عدد من المقطّعـات على قلة مانشر من شعر الأندلسيين . واختار ابن الكتّاني الطبيب في (كتاب التشبيهات) قطعاً كثيرة من شعر الغزال .

ونقل ابن حيان في المقتبس ، عمّن سبقه ، مجموعـة صـالحـة من شعره ، لها علاقـة بمجريـات الأحداث ، أو تصوّر بعض الشّخصيات الكبيرة كنصر الخصي والقاضي يُخامر الشعباني وسواهما ممن لم تحمد سيرتهم لسبب من الأسباب .

فالباقي من ديوان شعره قليل . وهو موجّةٌ بحسب الظروف التي سَمحت بوجوده هنا وهنـاك في مـؤلفـات الأنـدلسيّين . وهـو يتراوح بين البيت الـواحـد والقصيـدة الْمُطَـوّلـة . ودراســة شعر الغزال ، والاستفـادة من هـذا الشعر في النظر إلى الرجل وتقـويم شخصيتـه تبقى دائماً رهنـاً بهذه الملاحظات التي توجب التأنّي ، والتّقريب .

[٩]

الشّعر عنـد يحيى الغزال تعبير عن موقف ، أو رأيٍ يقـال ، أو تصوير للحظـة أو ومضـة من ومضات الحياة . ومن هنا كان في شعره حماسة ذاتية ، وحرارة ، وتـدفّق ، ومن هنـا ابتعـد عن أن يكون فنّاً مصنوعاً . اكتفى الغزال بأن يكون شعره : لمحة دالّة ، وكلمة وجدانيّـة صـادقـة ، مؤثرة بانفعاله بها .

ويجد قارئ شعر الغزال في شعره النّظرة الذكية ، والقـدرة على اختطـاف الفكرة ، والقـدرة على الإيصال ، والتفاعل مع السّامع .

ويجد هموم النّاس ؛ بعض همومهم العامّة في شعره : وهذا يفسر لنـا هجومـه على بعض فُقهـاء السّوء ، وعلى الْمُتَظـاهرين بـالخير والصلاح (القطعــة ٦٦) وعلى أهـل الرّيـاء (القطعــة ٨ ، والقطعة ١٣) وعلى مستغلّي النفوذ (الهجوم على نصر الخصّي) .. ومن هنا بَرَز من شعره ما يتعلق بالنقد الاجتماعي اللاذع ؛ واتسم بالواقعيّة ، الْمُفرطة أحياناً .

فشعرُه ، إذن ، يعبّر عن الـذّات ، ويصـدر عن البـديهـة ، والمبـاشرة استجـابـة لمـواقف

أو مفارقات ... مفارقات الناس والحياة . ويعبّر عن بعض هموم الناس . وهو يتسم بالسُّهولة ، واليُسر في تناول الفكرة ، والبعد عن التكلف ، والإقلال من أي تزيين أو تحسين ، إلاّ ما جاء عارضاً مع استجلاب الفكرة ونظمها .

والدُّنيا عند ممرّ سريع ، وعلى الإنسان ألا يغترّ بخير ولا يحزن لشرّ ، فكلُّه ذاهب :

أخي عدّ ما قاسيتَهُ وتقلّبتْ　　　عليكَ بهِ الدُّنيا من الْخَيرِ والشَّرِّ
فهل لكَ في الدُّنيا سوى السَّاعةِ التي　　　تكونُ بها السَّرّاءُ أو حاضِرُ الضُّرِّ ؟
فَطُوبى لعبدٍ أخْرَجَ الله روحَهُ　　　إليه من الدُّنيا على عَمَلِ البِرِّ !

وفي قصيدة أُخرى يميل إلى المعنى ذاته :

وإذا تَقلّبت الأمورُ ولم تَدُمْ　　　فَسواءٌ الْمَحْزونَ والْمَسْرُورُ !

وهو لهذا يدعو إلى طلب الرّزق الحلال ، والاكتفاء من شهوات الدُّنيا بالقليل اليسير :

طالبُ الرّزق الحلال لا يَقِرّ　　　نهاره وليلهُ على سَفَرْ !

إلى أن يقول :

إنّ الحلال وحده لا يختمِرْ !

و يصل إلى مهاجمة كاسبي المال الحرام :

ألا ترى أكثر من فيها يفر　　　مخافةَ الفقرِ إلى نار سَقَرْ ؟ !

ولا يقف دون نقده اللاذع أحد ؛ فهو يحارب هذه الظاهرة : ظاهرة الكسب السريع ، أو الوفير كائناً مَنْ كان صاحبه . وكان الفقيهُ الطّامع أو المستغلّ ـ كما يرى الغَزّال ـ مثالاً ينفعُ أن يوجَّه إليه اللوم . لأنه ـ حين يفعل هذا ـ يكون قد بدأ من الشخص الذي يخشى الناس عادة التعرّض له . فهو إذن يهاجم كبيراً أو ناسطوة في قلوب الناس ليسهل عليه أن ينتقد كل أحدٍ بعد ذلك . وهذا معنى قوله :

لستَ تلقى الفقيهَ إلا غنيّاً　　　ليتَ شِعري من أين يستغنونا ؟
نقطعُ البَرّ والبحارَ طِلابَ الرِّزْ　　　قِ والقومُ ها هُنا قاعدونا !
إنّ للقومِ مضرباً غابَ عنّا　　　لم يُصِبْ قصدَ وجههِ الرّاكبُونا

واقترنَ نقده الشامل ـ الذي لم يوفّر الموقّرين من النـاس ـ بمهاجمـة بعض المخـالفين أو الـذين شكا منهم الناس من القضاة وخاصة : يُخامر الشعباني . وقد ذكرت كتب التراجم أن النـاس ضجّوا من طريقـة تصرّف القـاضي يُخَـامر حتى اضطر الأمير إلى عزلـه . وتعرّض الغَزالُ للفقيـه المشهـور عبد الملـك بن حبيب ؛ وقـد قـال فيـه ابن الفَرضي : لم يكن لابن حبيب علم بـالحـديث ، وحكى الباجي وابن حزم أن أبا عمر بن عبد البرّ كان يكذبه . (ولكن بعض الأندلسيّين دافعوا عنـه بقوة لغزارة علمه وفضله وكثرة مؤلفاته (رسـائل ابن حزم ٤٢٤/١) ، وحكى ابن الفَرضي أن ابن حبيب كان يأخذ بالرُّخصة في السماع ، وأنه كان له جَوارٍ يُسمعنه .

وقد نقل القاضي عياض (٣٣) ما حكاه ابن الفَرَضِيّ وقال : « وقـد عَرَضَ لـه الغزال الشـاعر بذلك فيما آذاه به من شعره » . ثم زاد القاضي عيـاض : « وآذى بـه غيره من الفقهـاء » وهي زيـادة غير لازمة .

وإذا هاجمَ الفقهاءَ المقصّرين ، أو المشتغلين بقضـايـا لاتليقُ بهم ، أو يَجُورون في التصرّف ، لأنهم بهذا يخالفون طبيعة عملهم ، فهو أيضـاً يهـاجم بعض الأُمراء والقُوّاد المقصّرين في مجـال عملهم ، و يتهكم بهم تهكماً لاذعاً . ولكنه مع جَمهرة الناس مُنصف ، لا يطلب من المرء أكثر مما يطيق إنسـان عادي . يقول :

.... أيّ امرئٍ إلاّ وفيـــه مقـــال ؟

وشعر الغزال البـاقي ، على قلتـه ـ يصور كثيراً من مراحِل الشّبـاب وحمـاستـه والغزل الرّقيق الذي تشهد فيه دقّة الإحساس بالجمال ، والمواقف الحادّة الجادة ... وتشعر بـدخول عنصر الزّمن ... فتتبلور قلـة مبـالاة أيـام الشبـاب ، وقلـة احترازه على شكل حكمـة بسيطـة ، صـادرة عن تجـارب الحياة .

وتظهر واقعيّتـه ، المحبـوكـة من المـلاحظـات السـابقـة في نظرتـه إلى الحيـاة وعـدم اكتراثـه بمظاهرها ... وفي نظرته إلى المرأة في نقدٍ لاذع تراه مُفَرّقاً في قصائد الديوان ، فيما يتلُو .

وطالت أيام الشيخوخة ، وأبلاه الزَّمان ، فمزج من دعابته وواقعيتـه قصـائـد ومقطّعـات في الحيـاة والموت ، وفي علاقـة الرجل (المتقدم في السن) بـالمرأة ، ونظرتهـا إلى العَجُوز ، ووازن بين

(٣٣) ترتيب المدارك : ١٣٠/٤

إقبال المرأة على الشباب لشبابه وعلى الشيخ العجوز لماله في مفارقات ضاحكة مؤثرة في وقت واحد .

ويظهر في شعره أثر الزّمن ، وتقدمه ... حتى تجده يشكون الزمن نفسه ، وما صنع بجسمه ، بشعر طريف لطيف ، وعبارات ساخرة حادة ، ومعان مبتكرة بديعة ، كقوله :

ولو كانت الأسماءُ يدخلُها البِلى لقدْ بَلِيَ اسْمِي لامتدادِ زَمَاني !

[١٠]

ونَجِدُ في الباقي من شعرِه **الموضوعات الآتية** :

☆ **الغزل** ، فقد أكثَرَ الغزال من شعر الغزَل . ولا تشعر بسيطرة اسم فتاة واحدة أو امرأة معيّنة . وإنما هو الغزل الرقيق ، الدّال على عاطفة مشبوبة ، وقدرة على التصرف في معاني الغَزَل .

فإذا ما استطرد في شعر الغزل ، انسابَ نظمُه ، وتتابعت أبياته ، في رقة وعذوبة وكلام غير مصنوع يضرب إلى أنماط العذريين من المباشرة ، والصدق ، والبعد عن التكلّف ، والضرب على أوتار القلُوب .

☆ **والهجاء** ، ويدخل فيه التعرّيض ، والإنذار . واشتهر الغزال في عصره بشعره الهجائي اللاذع ، وضخّم أصحاب كتب التراجم هذا الجانب ، فمعظم من ألّف في التراجم : من العلماء الفقهاء . غير أن ترجمة الغزال التي سجّلها الحميدي ، وروى فيها عن ابن حزم تُعطي انطباعاً طيباً عن الشاعر الغَزال . فقد وصفه بأنه « رئيس ... جليل في نفسه ، وعلمه ، ومنزلته عند أمراء بلده ... » .

وإذا عرفنا سطوة الفقهاء ومكانتهم وحرص الأمراء على التزام قواعد الشريعة وضبط تنفيذها على الناس أدركنا أن الغزال لا يمكن أن يكون متحلّلاً سيّئ السُّلوك راكناً إلى الشراب ـ زعموا ـ والفساد دون أن يتعرض لردّة الفعل من الفقهاء الذين طالما قرّعهم وهجاهم ، ودون أن يتعرض للأمراء الذين لا يسكتون عن مثل هذا من رجل عُرِفَ بأنه من رجال الدولة الكبار .

والمهجوون المذكورون في الباقي من شعره هم :

ـ القاضي يُخامر (القطع ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥) .

ـ وعدُول معاذ (وبخاصة اثنان منهم : أبو حفص ويحيى بن مالك) .

ويلاحظ أن الغزال لم يهج القاضي معاذاً وإنما هجاه أخاه يخامر لاختلاف الشخصيتين .

ـ وهجا القائد ابن أبي العطاف الذي فرَّ من وجه بعض العصابات !

ـ وهجا زرياباً بشعرٍ لم يصل إلينا .

ـ وعرَّض بنصر الْخَصِّيّ ، وشمت به بعد موته ـ وبآخر سماه (أبا حازم) (القطعة ٤١) .

ـ وعرّض بآخرين لم يذكر أسماءهم .

☆ والمديح ، ولم يبق لنا من المديح إلا القليل : مدح الحكم الرّبضي ، ومدح الأمير عبد الرحمن الأوسط ، ومدح آل جعفر (؟؟) في القطعة (٣٠) .

والقصيدة البائية :

بعضَ نصابيكَ على زينبِ　　　لا خيرَ في الصّبوةِ للأشْيَبِ

هي قصيدة مديح ، واستعطاف ، وقدم لها بمقدمة غزلية رقيقة . ومدحه الأمراء ملائم لطبيعة شخوصهم ومناصبهم ، وفيه نفس شعراء المديح المقتدرين .

☆ ويبزر في شعره عنصر النقد الاجتماعي : الغنى والفقر ، وعلاقة الرجل بالمرأة وبخاصة العلاقة بين العجوز المتقدم في السنّ وصغيرة السنّ في ملاحظات دقيقة نافذة .

ويبرز هنا عنصر الدعابة ، والسُّخرية الصادخة ، والواقعيّة التي اتسمت بها حياة الشاعر ، كما اتسم بها شعره .

☆ وكان الغزال بارعاً في الوصف ، مقتدراً على تناول الجوانب الخفية من الأمور الموصوفة كوصف البحر والسفينة (القطعة ١٧) ووصف العجوز (ق ١٣) ووصف الخمرة (القطعة ٢ ، ٣) ...

[١١]

لم يكن الشعر عند الغَزال صناعةً فحسب ولكنه كان تعبيراً عن موقف . وإذا صحَّ أن المجموع من شعره يمثّلُ لسائرِه ، أو يشيرُ إليه إذن فنحن أمام شاعر مختلف عن كثير من الشعراء .

ونستطيع أن نرصد علاماتٍ وطوابعَ ظاهرة في شعره ، منها :

الواقعيّة ؛ وشعرُ الغَزال تعبيرٌ عن ممارسته للحياة ، وتعليقٌ سريعٌ على نظرته إليها . وهو يعبّر عما يراه تعبيراً سريعاً ، يكاد يكون تصويراً له ، ولكن بعين البصيرة ، وعين البصر معاً . ومن خلال واقعيّته ، أسرف في النَّقد ، واتّسم شعره باللَّذع أحياناً .

ويتصل بما سبق قلّة عناية الغزال بمظهر الشعر ، وقلة الغوص على الفكرة البعيدة وقلة البحث عن الصُّورة الغريبة . واستغنى عن ذلك بحرارة العبارة المباشرة ، الرقيقة المادة ، والسهولة واليُسر في تناول الفكرة ، والميل إلى البديهة والارتجال أو ما يقرب منها ، واكتفى بالصورة القريبة ، أو اللقطة السَّريعة .

ولكنه يميل إلى التحليل والتعليل والمناقشة . ولأن الشعر عنده تعبير عن موقف ، وقضية ، فإنّ التحليل ملائم ، والتَّعليل يُغني الشعر ويثريه ويكمّل مقاصده ، وهو في تحليله وتعليله يرتبط بالواقع .

ويعتمد (الغزال) على الحوار . وتشيع في شعره نزعة قصصيّة قويّة . وقد طوّع هذه الناحية لعرض آرائه ، وبسط انتقاداته ، وأعطى شعره حيوية وحركة ، وحريّة في الأداء .

ويشيع في شعره عنصر الإضحاك . وأعني النزعة السّاخرة في تناول بعض الأمور المهمّة حين تكون السخرية (أبلغ) عنده في الوصول إلى مقاصده . إن هذه النزعة لوّنت شعره بلون متميّز ، بل إنها لم تفارقه في المواقف الحرجة أحياناً .

د. محمد رضوان الداية

دومة (دمشق) : محرم الحرام ١٤١٣
حزيران ١٩٩٢

ديوان

يحيى بن حكم الغزال

الجياني

جمعه وحقّقه وشرحه

الدكتور

محمد رضوان الداية

[١]

[القطعة في هجاء رجل اسمه (خالد) لم تُفصح عنه المصادر . يقول إنه أمَّل - وأعْظَمَ أمَلَهُ - في أن ينال من (خالد) الأمانيَّ ، ولكنه لم يحظَ بأكثر من درهم ؛ ثم إنه استخرج الدرهم الفرد بشقّ النَّفس ، وكبير الْجَهْد !

والصورة ساخرةٌ مُضحكة . استطاع الشاعر أن يحوّل المشهد القاتم إلى نادرة تثير السخرية والضَّحك] .

قَال(*) : [من الطويل]

١ قصدتُ بِمَدحي جاهداً نحو خالدٍ أُؤمّلُ من جَدواهُ فوقَ مُنائي
٢ فلم يُعطني من مالِهِ غيرَ درهمٍ تَكَلّفَهُ بعد انقطاعِ رجَائي
٣ كما اقتلعَ الْحُجّامُ ضِرساً صَحيحةً إذا استُخرجتْ من شِدّةٍ ببكاءِ !

(*) التخريج :
القطعة في كتاب التشبيهات لابن الكتّاني الطبيب : (٢٥٢) من باب عقده في البُخل .

الشروح :

(١) (منائي) حقُّها أن تكون (مناي) . وهي مُنى جمع مُنية بمعنى الأمنية . وفي نقل مناي إلى منائي ضرورة .
وقد أجاز الكوفيون في الضرائر الشعرية مدّ المقصور خلافاً للبصريّين .
(انظر كتاب : ما يجوز للشاعر في الضرورة للقزاز القيرواني) .

(٣) الحجّام في الأصل الذي يعالج بالحِجامة . وهي امتصاصُ الدَّم (من الجسم) بالمِحْجَم (على سبيل المداواة) . وكان الحجّام ربّما قام بدور الْمُمَرِّض اليوم ، وربّما تَطبّب !!

[٢]

[يجري النص على نهج أبي نواس - ومَن جاراه - في الكلام على الخمرة ، وذكر مجالس الشّراب ، ومُغامرات الشاربين في الوصول إلى الحانات ، والجري على هوى النَّفس ، وسرد المفاجآت الغريبة التي تصادِفُهم أو يختلقونها .

وهذا رجلٌ استنفد هو - وصحبه - مامعهم من الشراب ، فقصد إلى حانوت خمّار (يعرفهُ) تعوّد على فتح حانوته طوال اللّيل ، واستقبال الزبائن (من أمثال الشاعر الخامر) (١ - ٣) فذاق من دنانه خمرة

مختارة ل كاطرب لها ، ثم إنه ألقى على الْخمّار ثيابه (وهي نفيسة) استحساناً لخمرته وهبة ، واستعار ثياباً خفيفة (للضرورة) ثم عاد إلى أصحابه بالشراب المنتظر (٤ ـ ٦) فاستقبلوه بالتّرحيب والمرج والتفدية له ! (٧)] .

خبر القطعة :

ترجم الْحُميدي في جذوة المقتبس : (٢١٢) لسعيد بن أحمد بن خالد ، ووصفه بأنه من أهل العلم والفضل . وأنه كانت له رحلة إلى المشرق ، وقال :

« أخبرني بعض المشايخ بالأندلس أنّ سعيد بن أحمد (المذكور آنفاً) كان يحكي أنه لمّا رحل إلى المشرق لَقِيهُ بعض الأدباء بمصر واستنشده لأهل الأندلس ، فأنشده فَفُضّل بَعْضَ التفضيل إلا أنه قال : لا تخفى أشعاركم إلى جانب أشعارنا كما لا يخفى البدرُ في سَواد الليل ! فقال له سعيد : صَدقت ! وأين لأهل الأندلس بمثل قول الحسن بن هانئ ... » : وأنشده أبيات يحيى بن حكم الغَزال ، وهي قوله من قصيدة طويلة يعارض بها الْحَسَن(☆) :

وكنتُ إذا ما الشَّرْبُ أكدتْ سماؤهم   تأبطتُ زِقّي واحتضَنت عنائي !

... إلخ الأبيات .

فلما سمعها المصريّ طرب واهتزّ ، وقال : لله درُّ الحسن ! فلمّا أكثر قال له : الشّعر والله ليحيى بن حكم الأندلسي ، وإنما أردت تجربةَ نقدك والنقضَ عليك ؛ فردَّ ذلك ، وأنكرَه ، حتى صحّ ذلك عنده ، فخجل ، وأظهر التعجّب ... إلخ الخبر .

ونقل ابن دحية في (المطرب) : (١٤٨ ـ ١٤٩) خبراً مقارباً للمغزى نفسه ، ولكنه جَعل الغزال نفسه صاحب القصة .

ونقل صاحب نفح الطّيب (جـ٢ ، ص:٢٦١) الخبر كرواية الْمُطرب . ويُفهم من خبر المطرب ، ونفح الطيب أنّ قول الغزال :

تداركتُ في شرب النَّبيذ خَطائي   وفارقتُ فيه شِيمتي وحَيائي

مطلع قصيدة أُخرى ، غير القصيدة التي منها هذه القطعة (الرقم ٢) وأظن أن هذا البيت هو مطلع القطعة ذاتها (التالية بالرقم ٣) .

وقال : **[من الطويل]**

١ ولَمّــا رأيتُ الشَّرْبَ أكــدتْ سماؤهم تــأَبَّطْتُ زِقِّي واحتَسبتُ عَنــائي
٢ فَلَمَّــا أتيتُ الحــانَ نــاديتُ رَبَّــهُ فثــابَ خفيفَ الرُّوحِ نحـو نِــدائي
٣ قليــلَ هجــوعِ العينِ إلاّ تَعِلّــةً على وجَـــلٍ منّي ومن نُظَرائي
٤ فقلتُ أذِقنيهــا ، فلمّــا أذاقَهــا طرحتُ عليــه رَيْطتي ورِدائي
٥ وقلتُ أعِرْني بــذلــةً أستترْ بهــا بــذلتُ لــهُ فيهــا طــلاقَ نِســائي
٦ فــوالله مــا برَّتْ يَميني ولا وفَتْ لــه ، غيرَ أنّي ضــامنٌ بــوفــائي
٧ فــأُبتُ إلى صحبي ولم أكُ آيبــاً فكلٌّ يُفَــدِّيني وحــقَّ فِــدائي !

(☆) **التخريج :**
النّص في الْمُطرب : ١٤٨ ، وفي نفـح الطيب : ٢٦١/٢ ، والأبيــات ١ ـ ٣ في جــذوة المقتبس : ٢١٢ . وبغية الملتمس : ٢٩٣

الشروح :

(١) أكدى إكداءً : قلّ خيره ؛ يريد : نقد ما عندهم من الشراب . والزِّقُّ : وعاءٌ يُتّخذ للشراب ، يكون من جِلد .
(٢) خفيف الرُّوح : ذكي .
(٣) التعلّة : ما يُتَعَلَّل به ويُجتزأ (أي : إلا نوماً قليلاً ..) .
(٤) الرّيطـة : كل ثوب رقيق ليّن . والْمُلاءة كلهـا نسج واحـد وقطعـة واحـدة . يقـال : خرج مشتملاً بريطة الظلماء .

الروايات :

١. في الجذوة : ـ وكنت إذا ما الشرب .
ـ واحتضنت عنائي .
في النفح : واحتبست عنائي .
٢. في المطرب : الخان (بالخاء المعجمة) .
في الجذوة : الحان ، ناديت أهله .
فهب خفيف ..

[٣]

وقال(☆) : **[من الطويل]**

تداركتُ في شُربِ النَّبيذِ خَطائي وفـارقتُ فيـه شِيمَتي وحَيـائي !

(☆) **التخريج :**

البيت في المطرب : ١٤٨ ، ونفح الطيب : ٢٦١/٢ ، و (راجع مقدمة القطعة : ٢) .

الشرح :

يجري الشَّاعِرُ على طريقة الْمُسْتَهْتَرين بالشَّراب ؛ فقد تدارك خَطـأه (!!) وبـاشره ؛ وصنع ما يصنعه الشرب ؛ وأدّى به ذلك إلى مفارقة طبعه السَّليم وحَيائه الفِطْري .

(وظـاهر أن الشـاعر الغزال يقلّـد أسلوب أبي نُواس ليثبت جـدارتـه ولم يكن أكثر من كلام شِعريّ !!) .

[٤]

[يُجرِي الشاعر حواراً بينه وبين قلبه الذي هفا ومـال وأُعْجِب (بمن تستحقّ الإعجـاب) فكلّفـه فوق ما يُطيق (١) فقد شُغِفَ بتلك الحسنـاء التي تنـافس الشمس تلألؤاً وإشراقـاً (٢) : ويـا للعَجب ! أينَ كان هو ـ في بلاده ـ من بلادها !! (في أقصى بلاد الله) (٣) ، ولكنّه النَّصيب !

ويلتفت إلى تود (تيـودورا) في كـلام شعري عن حُسْنِهـا المتفتّـح وكأنها كـوكبٌ دُرّي (٤) ويـذكر مكانتها من نفسه وقلبه (٥) وكيف لا تكون عنده كذلك ولم تَرَ عينُه مثلها .

ويحكي الشاعر عن تُود كلاماً جرى بينـه وبينهـا ! لقـد داعَبَتْـهُ بقولها : إنّ الشَّيب بـدأ يغزو جوانب شعر رأسه ، فأجابها : نعم ! وكذلك يكون الْمُهر ـ ولا لأحد يُنكر أن الْمُهر هو شباب الخيل ـ .

ويذكر أنها ضحكت ممّا دافع عن شيبه ؛ ويقول : لقد قصدتُ إلى إثـارة إعجـابهـا وإرضـائهـا (أليس رَجُلاً دبلوماسيّاً) ؟!] .

خبر القطعة :

نقل ابن دِحية في (المطرب) عن تمّام بن علقمة ، قال(☆) :

« كان الغزال في اكتهاله وسيماً ، وكان في صباه جميلاً ، ولـذلـك سُمّي بـالغزال ومشى إلى بلاد المجوس ، وهو قد شارف الخمسين ، وقـد وخطـه الشيب ، ولكنـه كان مجتمع الأشـدّ ، ضَرْبَ الجسم ،

حسن الصورة ، فسألته يوماً زوجة الملك ـ واسمها تود ـ عن سِنّه فقال مداعباً لها : عشرون سنة ! فقالت للتّرجمان : ومن هو من عشرين سنة يكون به هذا الشيب ؟ فقال للترجمان : وما تُنكر من هذا ؟ ألم تَرَ قطُّ مُهراً يُنْتَجُ وهو أَشْهَب ؟ فضحكت تود ، وأُعجبت بقوله !

فقال في ذلك الغزال ، بديهاً(☆) : **[من السَّريع]**

١ كُلّفتَ يـا قَلبي هـوىً مُتْعِبـا ... غـالبْتَ منـهُ الضَّيغَمَ الأغلبـا
٢ إنّي تعلَّقتُ مَجُـوسِيّـةً ... تـأبى لِشَمْسِ الْحُسنِ أن تَغرُبـا
٣ أَقْصى بـلادِ اللهِ في حيثُ لا ... يُلفي إليـهِ ذاهبٌ مَـذْهَبـا
٤ يـا تُـوْدُ يـا رُودَ الشّبـابِ الّتي ... تُطلِـعُ من أزرارهـا الكَـوكبـا
٥ يـا بِـأَبي الشّخْصُ الـذي لاأرى ... أَحْلى عَلى قَلبي ولا أَعْـذَبـا
٦ إن قلتُ يـومـاً إنّ عَيني رأَتْ ... مُشبِهَـهُ لم أَعْـدُ أن أكـذِبـا
٧ قـالتْ: أرى فَـوْدَيْـهِ قـد نَـوَّرا ! ... دُعـابـةً تُـوجبُ أَن أدْعَبـا

(☆) **التخريج :**

النّصُّ في المطرب : ١٤٤

ونفح الطيب ٢/٢٥٧ ـ ٢٥٨ (نقلاً عن المطرب) .

الشروح :

(☆) ضرب الجِسم : يقال فلانٌ ضربٌ أي خفيف اللحم ، ممشوق القدّ .

أشهب : الشُّهبة : البياض المختلط بالسواد ، أو البياض الذي غلب على السَّواد .

(١) الضَّيغم : الأسد الواسع الشِّدق .

(٢) مَجُوسيّة : لم يكن القَوْم آنذاك على دين سَماويّ . أو : كان الأندلسيون يسمّون النورمانديين الْمَجُوس لإيقادهم النيران بكثرة فظنوا أنهم مَجُوس . فسماها مجوسيّة لَمّا كانت سفارته إلى بلاط زوجها ، حاكم أولئك الذين سمّوهم مجوساً .

(٤) تود أو نود اسم المخاطبة . (تراجع مقدّمة تحقيق هذا الكتاب) . ورُود : مسهّلة من رؤد (بالهمز) وهي الشابة الحسنة الناعمة الجسم .

(٧) فَوْدا الرأس : جانباه . نَوّرا : صارا بلون النَّوْر (الزهر الأبيض) والعبارة كناية عن الشيب .

٨ قلتُ لهــا : مــا بــالُـــه ؟ إنّــهُ قــد يُنْتَــجُ الْمُهْرُ كـــذا أَشهَبــا !

٩ فــاستَضْحَكتْ عُجْبــاً بقــولي لهــا وإنّما قُلْتُ لكيْ تَعْجَبـــــــا ! »

(٩) يقول : إنه تَعَمّد أن يصطنع الأحداث التي مرّت في القصيدة لكي يُدخل السّرور إلى قلبها (لغرض دبلوماسيّ) .

الروايات :

٤ في المطرب : يا نود (بالموحدة) .

وفي النفح : يا تود (بالمثناة الفوقية) .

[٥]

[هذه القطعة نصٌّ قصير في غرض واحد ؛ فيه لمحةٌ خاصّة من الشاعر في جانب من جوانب الحياة ؛ فهو لا يرى ـ من الناس ـ حوله إلاّ طامحاً طامعاً وضرب مثلاً من الثعلب يطلب الدجاج والقط يريد الوثوب على الفأر : كأن هذه الخصال صارت في كثير من الناس حوله عادات نزلت منزلة الطبائع !

والشاعر ـ كما يظهر من النص ـ صاغ القطعة على هذا الوَجْه ، واكتفى باللمحة اللاّذعة في الثلاثة الأبيات] .

وقال(☆) : **[من الخفيف]**

لا ، ومَنْ أعْمَلَ الْمَطايا إليــهِ كُــلُّ مَن يَرتجي إليــه نَصِيبــا

مــا أَرى ههُنــا مِنَ النَّــاسِ إلاّ ثَعْلبــاً يطلبُ الـدَّجاجَ وذِيبــا

أَو شبيهــاً بــالقِــطّ أَلْقى بعَيْنيــ ـــهِ إلى فأرةٍ يُريـدُ الـوُثـوبــا !

(☆) **التخريج :**

نفح الطيب ١٥٧/٢ : وقدم المقّري للأبيات بعبارة : « وقال رضي الله تعالى عنه » .

الشروح :

(١) المطايا جمع المطيّة ، وهي من الدواب ما يُمتطى (تذكّر وتؤنث) وتجمع أيضاً على مَطيّ .

وأعمل المطايا : جعلها تُسرع في قصدِ طَريق الحجّ وقطعِه .

والشاعر ـ في هذا البيت ـ يحلفُ بيمينٍ مُعَظّمةٍ : بالله تعالى الّذي جعل أفئدة من النّاس تهوي إلى مكة المكرمة (وتحثّ الْخُطا وتُعْمِلُ الْمَطايا) .

[٦]

[في شعر الغَزال قَصِيدتان هما هذه القطعة (برقم ٦) والقطعة التالية لها (برقم ٧) . ويجري الشّاعر فيها على نهج شاعر مشرقي له شعر ساخر ضاحك ، فيه لذع أيضاً . وهَدَفُ الغزال من ذلك إثبات الجدارة والبَراعة ومجاراة المشارقة في مقاصدهم ومعانيهم وأساليبهم . ولهذا كان تقديم النص في النصّ هكذا « وله على أسلوب أبي حكيمة راشد ... » .

والشاعر المقصود بالمجاراة هو راشد بن إسحاق المعروف بأبي حكيمة . وقول صاحب النفح (ابن أبي حكيمة) لم أجده في مصدر آخر ؛ وقد أجمعت المصادر على أنه (أبو حكيمة) .

ومن طريف أخبار أبي حكيمة أنّه كان ينظمُ شعراً فيه مُجونٌ ، ولكنّ شعره ذاك لم يكن أكثر من كلام فقد كان في حقيقته وسلوكه بِضدّ ما كان ينظم من الشعر ويقول عن نفسه فيه ! (ينظر طبقات ابن المعتز ٥٢٣ و ٣٠٩ ومصادره) .

على أنّ الغَزال لم يقصد من شعره ـ الذي على ذلك الأسلوب ـ أكثر من الْمُجاراة والْمُضاهاة] .

وله على أسلوب ابن أبي حكيمة راشد بن إسحاق الكاتب(☆) : [من الكامل]

١ خَرَجَتْ إليكَ وثوبُها مقلوبُ ... ولقلبِها طَرَباً إليكَ وَجيبُ

٢ وكأنّها في الدّارِ حينَ تعرَّضَتْ ... ظبيٌ تَعلَّل بالفَلا مَرغُوبُ

٣ وتبسّمتْ فأتتكَ حينَ تبسَّمتْ ... بجُمانِ دُرٍّ لمْ يَشِنْهُ ثقوبُ

٤ ودعَتْكَ داعيةُ الصِّبا فتطرَّبتْ ... نفسٌ إلى داعي الضَّلالِ طَروبُ

٥ حسبتكَ في حالِ الغَرامِ كعهدِها ... في الدّار إذ غُصْنُ الشَّبابِ رطيبُ

(☆) التخريج :

الأبيات من قصيدة في نفح الطيب ٢٥٢/٢ والتقديم للمقّري أيضاً ؛ وتتمتها ثمّة .

الشروح :

(١) وجبَ القلبُ : خفَق . (يقال : وَجَبَ وَجْباً ووجيباً ووُجُوباً ووَجُوباً) .

[٧]

[تختلط بعض أبيات هذه القصيدة بأبيات في القصيدة السابقة . ويقترب موضوع إحداهما من الأُخرى .

وقول صاحب المُطرب إنه اشترى جارية اسمُها (لعوب) - فيما أُقدِّر - هو ترجيحٌ واستظهار للمناسبة من الشعر ، لأنه ذكر كلمة (لَعُوب) ؛ وهذه قد تكون اسماً وقد تكون صفة . على أنّ (الصَّنْعَة) والرغبة في المحاكاة والمضاهاة ظاهرة] .

وقال في جارية اشتراها ، واسمها (لعوب)(☆) : **[من الكامل]**

١ لم أَنْسَ إذْ برَزتْ إليَّ لعـــوبُ طرَبـاً وحَيْثُ قميصُها مقلوبُ
٢ وكأنّها في الـدّارِ حينَ تعرَّضتْ ظبيٌ تَـدلّـهَ بـالفَلا مَرْعوبُ
٣ تَفْترُّ عن دُرّ تَنـاسقَ نظْمُـهُ فيـه لثـاةٌ عـذبـةٌ وغُروبُ
٤ حـاولتُ منها رَشفـةً فكأنّهـا عَسـلٌ بمـاءِ سَحـابـةٍ مقطوبُ
٥ ودعَتْـكَ داعيـةُ الصِّبـا فتطرَّبَتْ نفسٌ إلى داعي الضّـلالِ طروبُ
٦ وظنَنْتَ عهدكَ عهدها في الدهرِ إذْ فَينـانُ غُصْنِـكَ بـالشّبـابِ رطيبُ
٧ فجَريْتَ في سَنَنِ الصِّبـا شأواً وقـد وزَعَتْـكَ عنـهُ كَبْرَةٌ ومشيبُ

(☆) **التخريج :**

القصيدة في المطرب : ١٤٩ . وقد تداخلت بعض أبياتها مع بعض أبيات القطعة السابقة (٦) ، وتقاربت أبيات من أبيات أخرى فيهما تقارباً شديداً ؛ وللأبيات تتمةٌ ثَمّة .

الشروح :

(١) لَعُوب : تصلح اسماً (يليق بأسماء الجواري) وصفة من اللّعب .

(٢) يقال : دلّهه العشقُ (وغيرُه) فتدلّه : حيّره وأدهشه ، وتركه ذاهب العقل .

(٣) الغُروب جمع الغَرْب ، وهو كثرة الرّيق في الفَم .

(٤) مقطوب من قطب الشراب : مزَجَه .

(٥) المقصود بداعي الضلال هنا ما يدعو إلى الصِّبا .

(٦) الفينان : الكثير الأفنان (الأغصان) .

(٧) وزعه : ردّه وردعه .

[٨]

[يعالج الشّاعر في هذه القطعة مسألة (الرّياء) من خلال شخصيّة رجل مُراءٍ مخادع ، يخدع الناس بتلوّنه ألواناً مختلفة . وتظهر سخرية الغزال وقدرته على تناول الأمور الاجتماعيّة من باب الهُزء ، والإضحاك على الشخصيّة المعالجة .

والقطعة ـ على قِصَرها ـ معبّرة دالّة ، مركّزة] .

وقال(☆) : **[مجزوء الرَّمَل]**

١ ومُراءٍ أخَذ النّا س بِسَمْتٍ وقُطوبِ

٢ وخُشوعٍ يُشبه السُّقْـ مَ وضَعفٍ في الدَّبيبِ

٣ قلتُ: هل تألَمُ شَيْئاً ؟ قال: أثقالَ الذُّنوبِ !

٤ قلتُ: لاتُعْنَ بشيءٍ أنتَ في قالَبِ ذِيبِ !

٥ إنّما تَبني على الوَثْـ بَةِ في حينِ الوُثوبِ

٦ ليسَ مَنْ يَخفى عليه منكَ هذا بلبيبِ !

(☆) التخريج :

القطعة في (بهجة المجالس) لابن عبد البرّ القرطبي ٢٠٦/٢ ، في باب الرّياء .

الشروح :

(١) السمت : الهيئة ، والسكون والوقار .

(٢) دب دبيباً أي مشى رويداً (متمهّلاً) .

يريد أنه خلب الناس باصطناع أحوال أهل الصّلاح والخير (السكون والوقار) وبأحوال ذوي المكانة والسلطة (القطوب) على أنه في حقيقته مخادعٌ من أهل الرّياء !

(٣) قالب ذيب : هيئتك كهيئته (يريد من الناحية المعنوية : طبعك كطبعه !) .

[٩]

[في هذه القصيدة كلام من الشاعر الغزال عن اثنين ممّن طالهم هجاؤه ونقده اللاذع أحدهما نصر الخصي المتنفّذ (قائداً عسكرياً وضابطاً للشرطة ومشرفاً على الأمن العام في الأندلس) . وقد مات نصر ميتة مأساويّة (يُنظر شرح البيت الأوّل) وعُرِض منزل نصر ـ وهو مُنْيَةٌ فخمة (دار كبيرة تحيط بها حدائق وبساتين) ـ على زرياب ذي المكانة الأثيرة أيضاً ؛ والثاني المقصود بالشعر هنا هو زرياب .

والشاعر يشمت بميتة نصر ، لا من جهة التشفّي الشخصي ولكن من جهة ضحك الأقدار على مصير رجل أغراه نفوذه بالإسراف على نفسه وتجاوز حدوده ؛ وإن كان لا شماتة في الموت (فالجميع إلى هذا المصير مَسُوقون) . وهو يذكر أثر الموت في حال الرجل وماله وأن لا شيء ينفع الميت بعد موته من رجاله وسلطته وأمواله .

وفي القصيدة تعريض بزرياب الذي خلف على دار نصر ، واسترسل في ظروف الحياة اليوميّة ودوّامتها اللاّهية دون اعتبارٍ بما كان ، مغترّاً بما يصله به الأمير وغيره من الفضة والذّهب !] .

خبر القطعة :

جاء في تاريخ ابن حيّان :

« وقال يحيى الغزال عند ذكر النّاس لإنزال السلطان زِرْياباً مُغنّيه في مُنية نَصر الْخَصّي أثيره ، بعد موته ... يذكر تَقلُّب الدنيا بأهلها »(☆) :

[من الخفيف]

١ ذكر النّاسُ [دار] نصرٍ لـزريا ... بَ ، وأهلٌ لِنَيْلها زِرْيابُ
٢ هكذا قدَّر الإلّهُ وقد تجـ ... ـري بما لا تظنُّه الأسبابُ
٣ أخرجُوه منها إلى مسكنٍ ليـ ... ـسَ عليه إلاّ التُّرابَ حِجابُ
٤ لا يجيبُ الدّاعيهِ فيه ولا ير ... جعُ من عنده إليهِ جوابُ
٥ وتغانَت تلكَ المراكبُ عنهُ ... وأُميلتْ إلى سواه الرِّكابُ

(☆) **التخريج :**

القصيدة في المقتبس (قطعة منه طبعت في بيروت ١٢٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) بتحقيق د . محمود علي مكي .

الشروح :

(١) « ذكر الناس ... » أي نصحوه بطلب سُكْناها .

(٢) « وقد تجري بما لا تظنه الأسباب » أي قد تجري الأُمور بتقدير مخالف لما يتوقّعه المرء ، وبعيد عما حسب له حساباً !

(٥) تغانى عن الشيء : جعَل نفسه في غنىً عنه (في غير حاجة إليه) .

٦ ليس معهُ من كل ما كان قد جَمَـ ـع إلا ثلاثةٌ أثوابُ
٧ وتَلاشى جميعُ ذاكَ فلَمّا يبقَ إلاّ ثوابُهُ أو عقابُ
٨ عَسكرٌ جنّدوا فليسَ بمأذو نٍ لَهُمْ عنهُ أن يكونَ الحِسابُ
٩ فرأيتُ الرّقابَ من أهله ذلّـ ـتْ، وعَزَّت من آخرينَ رقابُ
١٠ وكذاكَ الزّمانُ يحدثُ في تَصـ ـريفهِ الذلُّ والبَلا والخرابُ
١١ لتَعجَّبتُ والذي منه أعجبْـ ـتُ إذا ما نَظرْتُ شيءٌ عُجابُ
١٢ لكأنَّ الذي تولّى الذي كا نَ عليهِ مُخَلَّدٌ لا يُرابُ
١٣ فعلُه بعدَه كفعلِ امرئٍ ليـ ـس عليه بعدَ المماتِ حِسَابُ
١٤ ولَعَقْلُ الفَتى صَحِيحٌ، ولكنْ حَيَّرتهُ الأوراقُ والأذهابُ!

(٦) ... إلا ما كُفّن به .

(٧) يريد : إلا ثوابه أو عقابُه .

(١٠) البَلا مسهَّلة من البَلاء ، ويصح أن تكون (البِلى) وهذه مناسبة للخراب في آخر البيت .

(١١ ـ ١٣) يذكر ماانغمس فيه زرياب من الدُّنيا ، وكأن تلك الدار لم تنطق بالحكمة البالغة .

(١٤) الأوراق جمع وَرِق وهو الفضّة ، وتُجمع أيضاً على وِراق . والأذهاب : جمع ذهب ؛ وتُجمع أيضاً على ذُهوب .

تعليقات :

نصر الخصي ؛ هو أبو الفتح نصر بن أبي الشمول . كان خصيّاً ممّن اختارهم الحكم بن هشام للخدمة (لديه) . وعلت منزلة نصر أيّام عبد الرحمن الأوسط ، فكانت له مشاركة في إدارة أمور الدولة ، وأصاب نجاحاً في صدّ هجمات المجوس (النورمان) . وكان يميلُ إلى رأي السّيدة طروب زوجة الأمير عبد الرحمن في تولية ابنها عبد الله بدلاً من أخيه محمد أكبر إخوته . وخشي نصر ـ إن تولّى محمد الإمارة بعد أبيه ـ أن ينتقم منه ، فقد كان يعرف موقفه منه ، ففكر في أن يدس السمّ إلى مولاه الحكم في الدّواء ، وأوحى إلى الطبيب بذلك . فلَمّا أحضر نصر الدواء المشوب ـ وقد فطن الأمير لصنيعه ـ ألزمه بشربه ، فقضى إثره .

(راجع خبره مفصّلاً في المقتبس « نفسه » ٨ ـ ١٠ . وانظر مراجع ترجمته فيه « ص ٤٣٠ » . وانظر التعليق على القطعة ٣٥ الآتية في هذا المجموع) .

زرياب : هو أبو الحسن عليّ بن نافع . وفَد على الأمير عبد الرحمن الأوسط من بغداد ـ بعد خلافه مع أستاذه إسحاق الموصلي ـ فنال حظوة ومالاً . وكان له تأثير في فن الغناء والموسيقى في الأندلس ، ونقل من المشرق كثيراً من العادات في أداب المآكل والمشارب والمعايش .

وفد إلى الأندلس سنة ٢٠٦ هـ وتوفي سنة ٢٣٨ هـ . وجرى أبناؤه من بعده (بنين وبنات) على ماأسسه أبوهم في أصول الغناء والموسيقى .

(انظر ترجمته في نفح الطيب ١٢٢/٢ ، وإحالات تحقيق المقتبس ـ نفسه ـ ص ٤٣٥ ، وكتاب « زرياب » في سلسلة أعلام العرب) .

[١٠]

[في القطعة حسن تعليل للشَّيب ، ومحاولة لقلب ماشكا منه الشعراء خاصة ـ وجمهرة الناس عامة ـ من سوء نذير الشيب ؛ فذلك قولُ الشّاعر « لاتُنكري وَضَحَ المشيب .. إلخ » . وأتقن الغزال الكلام في هذا الموضوع . وقد ألفَ الشاعرُ الشيب لامتداد عُمره واتصال زمانه] .

لَمّا أنشد الغزال (تود) الملكة ، شعره الذي أوله :

كُلِّفْتَ يا قلبي هوًى مُتْعِبا غالبْتَ منهُ الضَّيْغَم الأَغْلَبا

وفسّره الترجمان لها ، ضحكت منه وأمرته بالخضاب . ففعل ذلك الغَزال ؛ وغدا عليها يوماً ثانياً وقد اختضب ، فمدحت خضابه ، وحسَّنته عنده ؛ **ففي ذلك يقول الغزال(☆) :**

[من الكامل]

١ بَكَرتْ تُحسِّنُ لي سوادَ خِضابي فكأنَّ ذاك أعادني لشبابي

(☆) **التخريج :**

القطعة في المطرب : ١٤٦ ، ونفح الطّيب ٢٥٨/٢

الشروح :

(١) الخِضاب : مايُخْضَب به (يُلَوّن به) الشعر أو غيره كالحنّاء ونحوه .

٢ ماالشَّيبُ عندي والخضابُ لواصفٍ   إلاّ كشمسٍ جُلّلتْ بضبابِ
٣ تخفى قليلاً ثم يقشَعُها الصَّبا   فيصيرُ ماسُترتْ بهِ لذهابِ
٤ لاتُنكري وضحَ المشيب فَإنّما   هو زهرةُ الأفْهامِ والألبابِ
٥ فَلديَّ ماتهوينَ من شَأن الصِّبا   وطُلاوة الأخلاقِ والآدابِ

(٢) جُلِّلَتْ : غُطِّيَتْ .

(٤) الوَضَح : البَياض من كلّ شيء .

[١١]

[بدأ ابن دحية ترجمة الغزال ، بقوله عنه إنه شاعر الأوان ... وقد أثبت له من قوله ما يشهد بإبداعه وحسن تصرّفه في المعاني واختراعه وطول يده في الأدب ، فمن قوله : الأبيات ...

وتؤرّخ هذه القصيدة لقضيّة الأهْراء ، وسَجْن الشاعر ، ولقاء الأمير عبد الرّحمن بن الحكم (٢٠٦ ـ ٢٣٨) ومدحه ، ثم العفو عنه ؛ واستخلاصه بعد ذلك .

وفي القصيدة ثلاثة مطالب : المطلع الغزلي والقسم المدحي وأبيات الاعتذار في آخر القصيدة .

فأبيات الغزل خمسة (١ ـ ٥) وفيها يزجر الشّاعر نفسه عن التّصابي ، ويخص اسم زينب بالكلام الغزلي . وأبيات المدح من ٦ إلى ١٤ والاعتذار في القسم الأخير (١٥ ـ ١٧) ؛ ويمضي قسم المدح على نهج لطيف حسن ومعان رائقة معجبة ؛ أمّا الاعتذار ففيه أُسلوب الغزال وملامح شخصيّته ، فإن المداعبة لاتفارقه حتى في مثل هذه المواقف الحرجة :

إذا أخذت الحقّ منّي فلا   تلتمس الرّبْحَ ولا تَرْغَبِ!

ولو غيّر الشاعر نهجه وأسلوبه لكان حريّاً به أن يغيره في مثل هذا الموقف وهو سجين مكبّل !] .

قال(☆) : **[من السريع]**

١ بَعْضَ تصابيكَ على زَينبِ   لا خيرَ في الصَّبوةِ للأشيبِ

(☆) التخريج :

القصيدة في المطرب : ١٣٣ ـ ١٣٤ . وما بين معقوفتين من كتاب التّشبيهات : ١٢١ ، وأورد ابن الكتاني في كتاب التشبيهات : (١٢١) ثلاثة أبيات أحدها البيت الثالث من هذه القصيدة (كل رداح ...) برواية مختلفة . ثم أردفه ببيتين آخرين . واستظهر د . عباس أن

تكون الثلاثة الأبيات من هذه القصيدة . قلت : يؤيد هذا أن صاحب المطرب قال بعد الأبيات الثلاثة الأولى من هذه القصيدة : « وفيه ـ يعني هذا الشعر ـ تشبيب حسن كثير اختصرناه لطوله » ، وقال في المديح منه (من مبلغ عني البيت ٤) . وقد جعلت الأبيات الثابتة في التَّشبيهات بعد هذه القصيدة انظر (الرقم ١٢) .

ـ البيت الأخير في المطرب (إن كان رأس المال ...) بكسر النّون ورجَّحت أن أقرأها على ماأثبت (أن كان ..) .

وانظر تاريخ الأدب الأندلسي ـ العصر الأموي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عبّاس .

٢ أبعْــدَ خمسينَ تقضَّيْتَهــا وافيــةً تصبُــو إلى الرَّبربِ
٣ كلِّ رداحِ الردفِ خُمصــانــةٍ كالْمُهرةِ الضّــامرِ لم تُركبِ
٤ [أو درّةٍ ســاعــةَ مــاستُخرجَتْ لم تُمْتَهنْ بعــدُ ولم تُثقبِ
٥ مشربــةِ اللّــونِ، متُــوعِ الضُّحى صفراء بــالآصــال كالْمُــذْهَبِ]
٦ مَنْ مُبلــغٌ عنّي إمــامَ الْهُــدى الــوارثَ المجــدَ أَبــاً عن أبِ
٧ أنّي إذا أطنبَ مُــدّاحــه قَصــدْتُ في القــولِ فلم أُطنبِ
٨ لا فَــكَّ عنّي الله إن لَمْ تكنْ أذكرْتَنــا من عُمرَ الطّيبِ

الشروح :

(١) تصاباها أي دعاها إلى الصِّبا .

(٢) تقضّيتها : استوفيتها . يخاطب نفسه : لقد تجاوزت خمسين عاماً (وصار جديراً بك أن تترك الصّبوات وتتعقّل ..) .

(٣) الرَّداح : الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والخمصانة : الضامرة البطن والحشا .

(٥) مُشربة اللون ، أي أُشربَ لونها الأبيض حُمرة . ومتع النهار : ارتفع وطال ، وذلك ماقبل الزوال ؛ ومتع الضحى : بلغ آخر غايته (وهو عند الضحى الأكبر) : يصف إشراقتها ويشبّهها بالدنيا وقت الضحى العالي .

(٨) « عمر » يتوجّه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وإلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، أيضاً .

٩ وأصبحَ الْمَشْرِقُ من شَوقِه إليكَ قد حَنَّ إلى المغربِ
١٠ منبرهُ يهتفُ من وَجْدِهِ إليكَ بالسَّهلِ وبالمرحبِ
١١ أطربَهُ الوقتُ الذي قد دنا وكان من قَبلِكَ لم يطربِ
١٢ هَفا بهِ الوَجْدُ فلو منْبرٌ طارَ لوافى خَطْفَةَ الكوكبِ
١٣ إلى جميلِ الوجهِ ذي هيبةٍ ليستْ لحامِي الغابةِ الْمُغْضَبِ
١٤ لا يُمْكِنُ الناظر من رؤيةٍ إلا الْتماحَ الخائفِ الْمُذنبِ
١٥ إن تُردِ المالَ فإنّي امرؤٌ لم أجمعِ المالَ ولم أكسبِ
١٦ إذا أخذْتَ الْحَقَّ منّي فلا تَلتمس الربحَ ولا تَرغبِ
١٧ قد أحسنَ الله إلينا معاً أنْ كانَ رأسُ المالِ لم يذهبِ!

(١٧) في الْمُطرب : إنْ كان رأس المال (بكسر الهمزة) ورجّحتُ قراءتها بالفتح (أَنْ ..) .

[١٢]

وقال(☆) : [من السريع]

١ فارعةُ الجِسْمِ هَضيمُ الْحَشا كالْمُهرةِ الضّامرِ لم تُركبِ
٢ أو دُرّةٍ ساعةَ ما استخرجت لم تُمْتَهنْ بعدُ ولم تُثقبِ
٣ مشربةُ اللون مُتُوعَ الضُّحى صفراءُ بالآصالِ كالْمُذْهَبِ

(☆) **التخريج :**
القطعة في كتاب التشبيهات : ١٢١ . وانظر حاشية القصيدة السابقة (بعض تصابيك على زينب ..) .

الشروح :

(١) الفارعة : الطويلة ؛ وذات الهيئة الحسنة . والهضيم من النساء : اللطيفة الكشحين ؛ والهضيم : البطن المهضوم ؛ والهضم في اللغة يدل على : خمص البطن ولطف الكشح وقلة انحفار الجنبين ولطافتها .

[١٣]

[ظاهر أن القطعة جزء من قصيدة أنشأها الشاعر على طريقة شعر (مذمّة النّساء) الذي وردت قطع منه في آخر أبواب حماسة أبي تمّام . وهو يصف تلك المرأة العجيبة الشكل والحال وصفاً ساخراً ، ويبالغ في رسم صورة مُضحكة (مؤذية للعين والنفس)] .

وقال(☆) : [من البسيط]

١ جَرداءُ صلعاءُ لم يُبقِ الزَّمانُ لها ... إلا لساناً مُلِحّاً بالْمَلامات

٢ لَطمتُها لَطْمَةً طارتْ عمامَتُها ... عن صَلْعَةٍ ليس فيها خمسُ شعراتِ

٣ كأنّها بَيضةُ الشّاري إذا بَرقت ... بالمأزقِ الضَّنْكِ بينَ الْمَشْرفيّاتِ

٤ لها حُروفٌ نَواتٍ في جوانِبها ... كقسمةِ الأرض حِيزَتْ بالتُّخوماتِ

٥ وكاهلٌ كسنامِ العِيْسِ جَرَّدهُ ... طولُ السِّفارِ وإلحاحُ القَتوداتِ !

(☆) **التخريج :**

القطعة في كتاب التشبيهات : ٢٥٧ . وأوردها في جملة قطع من باب : في هجو النساء والمغنّيات . (القطعة ٥٥٦) .

الشروح :

(١) الْمَلامُ والملامة : العَذْلُ . ويريد الشاعر أيضاً ما وراء ذلك من الثرثرة وما يتبعها .
(٢) العمامة ـ في اللغة ـ ما يَلَفُّ على الرّأس .
(٣) الشاري : الخارجي . والبيضة : الخوذة . وشبهها ـ لامعةً ـ بخوذة أحد الخوارج لعنايتهم بالحرب واستعدادهم وترتيب آلتهم .
(٤) لها حروفٌ نواتٍ : أصلها نواتئ بالهمزة فحذف . ولعلها نواتي على التسهيل . والتّخوم : مفصل مابين القريتين والأرضَيْن ... ولم أقف على جمع الكلمة بـ (تخومات) .
(٥) القَتَدُ : خشب الرَّحْل ، والجمع ـ في كتب اللغة ـ : أقتاد وأَقْتُد وقُتود .

[١٤]

وقال(☆) : [من الوافر]

١ إذا أُخْبِرتَ عن رَجُـــلٍ بَريءٍ من الآفــاتِ ظــاهِرهُ صَحيــحُ
٢ فَسَلْهُم عنــهُ: هَـلْ هــو آدميٌّ ؟ فـإنْ قـالـوا: نَعَمْ، فـالقـولُ رِيْـحُ!
٣ ولكنْ بعضُنــا أهــلُ استِتــارٍ وعنــدَ الله أجْمَعُنــا جريــحُ
٤ ومن إنعــامِ خــالِقنــا عَلينــا بــأنّ ذُنـوبَنــا ليست تَفــوحُ
٥ فلـو فــاحتْ لأصبَحْنــا هُروبــاً فُرادى بــالفَـلا مــا نستريــحُ
٦ وضــاقَ بكلِّ مُنتحـلٍ صـلاحــاً لنَتْنِ ذُنـوبِـه البَلـدُ الفسيـحُ!

(☆) **التخريج :**

القطعة في (جذوة المقتبس) : ٢٥٢ ، ونقلها الضّبي في (بغية الملتمس) : ٤٨٥

الشروح :

(٢) فالقول ريح : لا قيمة له ، لا يثبت .

(٣) أهل استتار : ستر . وجريح : مجروح أي فيه قولٌ أو طعن (يريد لا أحد بلا ذنوب) .

(٤) جعل الشاعر الذنوب كالرّائحة الْمُنتنة ؛ ولكن من إنعام الله تعالى أنّ رائحتها لا تفوح (وفي هذا سَتْرٌ أيضاً) .

(٥) انتحل الصلاح : ادّعاه وهو ليس من أهله .

تعليق :

يُنظر في الغرض العام للقطعة ، وفي معاني بعض الأبيات شعر لأبي العتاهية (ديوانه : ٩٧) وفيه :

أحسْنَ الله بنــــا أنَّ المنـــايـــا لا تفــوحُ!

[١٥]

قال ابن حَيّان في تاريخه : « وذُكر أنَّ الغزَال أنـذر بِهُلـك نَصر (الْخَصِيّ) هـذا من طريق النجم قبل وقوعه بمدّة ، فقال(☆) : **[من الكامل]**

١	قُـــلْ للفَتى نصرَ أبي الفتـــحِ	إن المقـــاتـلَ حـلَّ بـــالنّطـحِ
٢	وأراهُ قهقَر فيــــــــــه ثم مضى	قُـــدمـــاً ومُـــدَّبراً إلى الرُّمــحِ
٣	وأرى النُّحـوسَ لـــهُ مســاعـــدةً	فـــانظُرْ لنفســكَ واقْبَلَنْ نُصحي
٤	ووجـــدتُ ذلـــكَ إذْ حسبت لـــهُ	ممّـــا يـــدلُّ على غَـلا القمـحِ
٥	ونــــزول أمرٍ لا أفـــوهُ بـــهِ	لـــو كانَ يبلـــغ بي إلى الرّبـــحِ
٦	وإذا رأيتَ البـــــدرَ في بُلَـــعِ	نـــزل القضـــاءُ بـــأبرحِ البَرْجِ
٧	يـــا رُبَّ طـــالعـــةِ العشـــاءِ أتَتْ	بخـلاف ذاكَ طـوالـــعُ الصُّبـــحِ
٨	ولربَّ رافلـــــةٍ عَشِيَّتُهـــــا	في الـــوشي أضحت وهي في المِسْحِ
٩	تبكي على مَنْ كانَ يُكرمهـــــا	نحّـــــاء بين نـــوادبٍ نُـــحٍّ

(☆) **التخريج :**

القصيـــدة في (المقتبس) ـ مكي : بيروت ـ ص : ١٠ ـ ١٢ . وهي في نصر الخَصّي الكبير . وكان الغزال يوصف بالحكيم وبالمنجّم .

الشّروح :

(٦) بُلَع : منزلة للقمر . والبرح : الشدّة .

(٨) المِسح : الكسـاء من شَعْر . والوشي : نوعٌ من الثيـاب الموشيّة . والثوب الموشى : المنّق المنمم المحسّن . ولابس الوشي ـ عادةً ـ مُنَعّم . وكنّى الشاعر بلبس المسُوح عن شظف العيش .

(٩) نحّ نحيحاً : تردّد صوته في جوفه .

[١٦]

وقال يمدح الْحَكَم من قصيدةٍ(☆) : [من الطّويل]

كأنَّ الملوكَ الغُلْبَ عندك ـ خُضّعاً ـ خَواضعُ طيرٍ تتّقي الصقر لبّدُ
تُقلِّبُ فيهم مُقْلةً (حَكَمَيّةً) فتخفِضُ أقواماً وقوماً تسوّدُ

(☆) التخريج :
القطعة في دولة الإسلام في الأندلس : ٣/٢٥٠ ، وفيه : يتّقي الصقر .
الشُّروح :
(١) لَبَدَ بالمكان : أقام به (ولزق) .
(٢) حكمية : منسوبة إلى (الحكم) الممدوح .

[١٧]

وقال(☆) : [من الكامل]

١ قالتْ: أُحِبُّكَ ! قلتُ: كاذبةٌ غُرِّي بذا مَنْ ليسَ ينتقِدُ
٢ هذا كلامٌ لَستُ أقْبَلُه الشَّيْخُ ليسَ يُحبُّه أحَدُ
٣ سِيّانُ قولُكِ ذا، وقولُكِ إنَّ الرِّيحَ نعْقِدها فتنعقِدُ
٤ أو أن تَقُولي: النَّارُ باردةٌ! أو أنْ تقولي: الماءُ يتّقِدُ!

(☆) التخريج :
القطعة في نفح الطيب : ٢/٢٥٧ . وقدّم لها المقري بعبارة : وقال رضي الله عنه .
الشّرح :
(٢) الشيخ ممن تقدمت به السّن !

[١٨]

وقال(☆) : [من الطويل]

١ ولبسٍ كثـوبِ القسِّ جُبْتُ سَـواده على ظَهرِ غِربيبِ القَميصِ نـآدِ
٢ قـد استـأخَرتْ أردافُـهُ ومضتْ لـهُ غـواربُ في آذّيـهِ وهـوادِ
٣ لـه ظلمـاتٌ بعضُهـا فـوق بعضِهـا دآدئُ مـوصـولٌ بهنّ دآدي
٤ يَبيتُ بهـا الْمَـلاّحُ من حَـذرِ الرَّدى مُـلازمَ صـارِيـه لـزومَ قُرادِ

(☆) التخريج :
القطعة في كتاب التشبيهات من باب في البحر والسفن : ١٨١

الشُّروح :

(١) اللبس : اختلاط الظلام . الغربيب : الأسود . النآد : الداهية .
(٢) الآذيّ : الموج الشديد . الغوارب (ج غارب) : الظهر . الهوادي (ج هادية) الأعناق ، وهاديات الخيل وهواديها : متقدّماتها .
(٣) الدآدي : الليالي الثلاث من آخر الشّهر القمري ، وفي الوسيط : الدأداء آخر أيام الشهر . ويقال : ليلة دأداء أي شديدة الظلمة .
القُراد : دويبة (حشرة) متطفلة ذات أرجل كثيرة تعيش على الدّواب والطيور ، ومنها أجناس . ويضرب بها المثل في اللُّصوق والملازمة (لتطفلها) .

[١٩]

وقال(☆) : [من البسيط]

١ أصبحتُ والله مَحسُوداً على أمـدٍ من الْحَيـاةِ قصيرٍ غيرِ مُمتـدِّ
٢ حتّى بقيتُ بحمـدِ الله في خَلَفٍ كأنّني بينهمْ من خَشيـةٍ وَحْـدي
٣ ومـا أُفـارقُ يـومـاً مَنْ أُفـارِقُـه إلا حسبتُ فراقي آخِرَ العهـدِ
٤ انظرْ إليَّ إذا أُدرجتُ في كَفَني وانظُرْ إليّ إذا أُدرجتُ في اللّحـدِ
٥ واقعـدْ قليـلاً وعـاينْ مَنْ يُقيم مَعي ممّن يُشيّـعُ نَعشي مِن ذَوي وُدّي

٦ هيهـــاتَ كُلّهُم في شـــأنِـــهِ لعِبٌ يَرمي التُّرابَ ويحثُـوهُ عَلى خَـــدّي !

(☆) **التخريج :**

الأبيات في العقد : (١ ، ٣ ـ ٦) ٣ : ١٩٠ ، (١ ـ ٣) ٣ : ٥٨

الشُّروح :

(٦) يقال حثا التراب ، وحثا عليه التراب : إذا هاله .

الرّوايات :

١ . روى في العقد (٣ : ٥٨) أيضاً : محسوداً على أملٍ .

[٢٠]

وقال(☆) : **[من الرَّجَز]**

١ تَســـــألنِي عن حـــــالتي أمُّ عُمَرْ
٢ وهي تَرى مـــــاحَـــلّ بي من الغِيَرْ
٣ ومـــا الّـــذي تَســـألُ عنـــهُ من خَبَرْ
٤ وقـــد كَفَـــاهَـــا الكشفُ عن ذاكَ النَّظرْ
٥ ومـــا تكـــونُ حـــالتي مـــع الكِبَرْ
٦ اربـــدَّ مني الـــوجـــهُ وابيضَّ الشَّعرْ
٧ وصـــــــار رأسي شُهرةً من الشُّهَرْ

(☆) **التخريج :**

النص في بهجة المجالس (٢ : ٢٢٨) من باب عقده في الكبر والهرم .

الشُّروح :

(٢) الغِيَر : غِيَرُ الدّهر أحواله وحدثانه المتغيّرة . يقال لاأراني الله بك غِيَراً . قيل في الكلمة إنها مفردة جمعها أغيار . وقيل مفردها غِيرة .

(٦) يقال رَبِدَ ، واربدَّ أي اختلط سوادُه بكدرة . وأكثر ما يقال : اربدَّ وجهه إذا احمرّ حمرةً فيهـا سوادٌ عند الغضب .

٨ ويَبست نضرةُ وَجهي واقْشَعَرْ
٩ ونقصَ السّمــعُ بنقصـــانِ البَصرْ
١٠ وصِرْتُ لا أنهضُ إلاّ بعـــــد شَرْ
١١ لـو ضـــامني مَنْ ضـــامني لم أنْتَصِرْ
١٢ فــــــانظُرْ إليّ واعتبرْ ثمّ اعتبرْ
١٣ فـــــــإن للحليمِ فيَّ مُعْتَبَرْ !

(٨) اقشعرّ الجلد قَفّ ؛ وتقبّضَ .

(١١) ضامه حقه وضامه في حقه : نقصه إياه وظلمه .

(١٣) الحليم : العاقل (والذي ينتفع بما يجرب ويرى) .

الرّوايات :

نقل الدكتور عباس القطعة في تاريخ الأدب الأندلسي (العصر الأموي - سيادة قرطبة) عن مخطوطة بهجة المجالس مباشرة . وعنده :

٢. ما حلّ بي من العبر .

٣. يسأل عنه .

٤. وقد كفاه .

[٢١]

وقال(☆) : **[من الرَّجز]**

١ طـــــالبُ الرّزقِ الْحَـــلالِ لا يَقِرْ
٢ نهـــاره وليلـــــه على سَفرْ
٣ في الْحَرّ والبردِ وأوقـــــاتِ الْمَطَرْ
٤ ومـــــالُــــه في ذاك نَــزْرٌ مُحتقَرْ
٥ إنّ الْحَــــلال وحـــــدَهُ لا يَختمِرْ !
٦ أينَ تَرى مــــالاً حـلالاً قـــد ثَمرْ ؟
٧ مـا إن رأينـا صــافيـاً منــهُ كَثُرْ !

(☆) **التخريج :**

القطعة في بهجة المجالس (١ : ١٤٤) من باب (في الرزق) .

[٢٢]

وقال(☆) : [من الرّجز]

١ إنّي حلبتُ الــدَّهرَ أصنــافَ الــدِّرَرْ
٢ فمرّةً حلــوٌ وأحيــانــاً مَقِرْ
٣ وعَلقماً حينــاً وأحيــانــاً صَبِرْ
٤ وجُــلُّ مــا يَسقيكَــهُ الــدّهرُ كَــدِرْ
٥ فلم أجِــدْ شَيْئــاً من الفَقرِ أمَرّْ
٦ ألا تَرى أكثرُ من فيهــا يِفِرْ
٧ مخــافَــةَ الفَقرِ إلى نــارِ سَقَرْ ؟!

(☆) **التخريج :**

القطعة في بهجة المجالس (١ : ٢٠٨) من باب (جوامع القول في الغنى والفقر) .

الشُّروح :

(٢) مَقِر الشيء مَقراً : صار مرّاً أو حامضاً فهو مَقِر .

(٣) الصَّبِر : عُصَارةُ شَجَرٍ مُرّ .

[٢٣]

وقال(☆) : [من الطويل]

فسبحــانَ مَنْ أعطــاكَ بطشــاً وقُــوَّةً وسُبْحانَ مَنْ ولَّى القضــاءَ يُخــامِرا !

(☆) **التخريج :**

البيت في قضاة قرطبة للخشني : ٥٤ ، والمقتبس (مكي بيروت) : ٦٤

تعليق :

(يُخامر) المذكور هنــا ، هو القــاضي يُخــامر بن عثمان الشعبــاني . ولاّه الأمير عبــد الرحمن الأوسط قضاء الجماعة . قــال الخشني ... فعــامَلَ (يُخــامر) النّــاسَ بخلقٍ صَعبٍ ، ومَـذهب

وَغْر ، وصلابةٍ جاوزت المِقدار ، فلم تحتملْ له العامَّةُ ذلك ، فُسلّطت عليه الألسنة وكَثُرَتْ فيه المقالة . وانبرى له رجلٌ من شعراء قُرطبة في ذلك الزَّمان وهو المعروفُ بالغزال ، فكان يهجوهُ ، ويصفُه بالبَلَهِ والجهل !

ومن بعض ماذكره فيه قوله في شعر ... (البيت) .

[٢٤]

قال ابن حيّان في تاريخه : فمن شعره ـ يعني الغزال ـ في القاضي يُخامِر قوله في (قصيدة أُخرى[☆] : **[من الطويل]**

١ فقلتُ لـــه كَلَّفتني فـوقَ صَنعتي كما قلّدوا فصلَ القضاء يُخامرا
٢ فـأصبحَ قد حارتْ به طرقُ الهوى يُكابِدُ لُجيّاً من البحرِ زاخرا
٣ فقلت : لواستعفيتَ منها ، فقال لي : سأفضحُ ما قد كانَ منكَ مُغايرا
٤ فقلتْ لـه : رأس الفضوح إقامةٌ علينا كـذا من غيرِ علمٍ مُكابرا !
٥ وخبطُـكَ في دين الإلـهِ على عَمًى خبـاطـةِ سكرانٍ تكلّم سادِرا
٦ فلن تحملَ الصَّخرَ الذُّبابُ ولن ترى السَّـلاحفَ يُزجينَ السَّفينَ المواخِرا !!

(☆) **التخريج :**

القطعة في المقتبس (مكي ـ بيروت) : ٦٤ ـ ٦٥

الشُّروح :

(٢) اللجّي : الواسع اللجّ .

(٤) الفضوح والفضوحة والفضيحة : الاسمُ من فَضَحَ .

(٥) تكلم سادراً أي : غير متثبّت في كلامه .

قراءة :

١ ـ في المقتبس : كما قلدوا فضل القضاء . جاءت (فضل) هكذا بالضاد المعجمة . قلت : وأظن الكلمة (فصل) بالصاد المهملة . والفصل من القول : ما كان قاطعاً . وفصل الخطاب : ما كان الحكم فيه قاطعاً لا رادَّ له .

[٢٥]

وقال(☆) : [من الكامل]

١ أنجزْ ـ فديتُك ـ ما وعدتَ فإنّ لي ... في الْمَطْلِ والإنجاز قولاً حاضرا

٢ واعلمْ بأنّ من الحزامةِ للفتى ... ألاّ يَرُدَّ بِغيرِ نُجْحٍ شاعرا

(☆) **التخريج :**

البيتان في جذوة المقتبس : ٢٥٢ ، وبغية الملتمس (عنه) : ٤٨٦

الشُّروح :

(٢) يقال : نجح نَجْحاً (بالفتح) ونُجحاً (بالضم) إذا فاز وظفر بما يطلب . والحزامة : مصدر ؛ مقال : حَزْم حَزْماً وحزامة وحُزومة : صار عاقلاً مميّزاً ذا حنكة .

[٢٦]

وقال(☆) : [من المجتث]

١ لقد سَمِعْتُ عجيباً ... من آبداتِ (يُخامِرْ)

٢ قَرا عليهِ غُلامٌ ... (طه) ، وسُورةَ (غافِرْ)

٣ فقال : مَنْ قالَ هذا ؟ ... هذا لَعمريَ شاعِرْ !

٤ أردْتُ صَفْعَ قفاهُ ... فَخِفْتُ صولةَ جائرْ

(☆) **التخريج :**

القطعة في المقتبس (مكي ـ بيروت) : ٦٥ ، وهي في القاضي يُخامر ، وقد سبقت الإشارة إليه . (انظر القطعة ٢٢) .

الشروح :

(١) آبدات جمع آبدة : وهي الأمر العجيب يُستغرب له ، والدّاهية يبقى ذكرها أبداً .

(٣) فقال : أي قال القاضي يُخامِر !!

(٤) (أردت) عود إلى قول الغزّال نفسه .

٥ أتيتُ يـــــومـــــــاً بتَيسٍ مُستعبِراً مُتحـــــــــاسِرْ
٦ فقلتُ : قُـــومـــوا اذْبَحُـــوهُ ! فقـــــال : إنّي يُخـــــامِرْ !

(٥) حسر : أسف . وحسر على الشيء : تلهَّف . وتحسّر على الشيء تلهّف وحزن . وكأنه ينظر في (تحاسَرَ) إلى معنى التظاهر بالأسف والْحُزن .

[٢٧]

وقال(☆) : [من الخفيف]

١ رِيْـعَ قَلبي لَمّـا ذكرتُ الـــدِّيـــارا وتنـــوّرْتُ بـــالنُّخَيــلاتِ نـــارا
٢ وازدهَتْني ذاتُ السَّنـــــــا بِبروقٍ مِن لَظـاهـا فمـا أُطِيـقُ اصْطِبـارا
٣ والقَريــحُ الفــؤاد يــزدادُ للنّـــا رِ (وميض ؟)☆ السَّعير منها استِعارا

(☆) **التخريج :**
الأبيات في يتيمة الدّهر للثعالبي (محيي الدين عبد الحميد ـ ٢ : ٤٩) وطبعة الشام : ٣٩٩/١

الشُّروح :

(١) رِيْع من راعه بمعنى داخله الرَّوع . والنخيلات اسم مكان .
(٢) ازدهته : استخفَتّه .

تعليق :
في البيت الثـالث ، في الأصلين معـاً (وميض) هكـذا . والكلمـة قلقـةٌ . وكأنّهـا : ومضّ السَّعير ، أو : ورمض السَّعير ... ولم أهتد إلى كلمةٍ قاطعة .

[٢٨]

[هذه الأبيات ـ كما يبدو ـ قطعة من قصيدة ؛ يذكر فيها شكوى زوجته من كثرة أسفاره ؛ ويحـاول تهدئتها وطمأنتها ، ويرجو أن يعود من سفره غانماً سالماً ، موفور الحـظّ ، ثم يشير إلى تقـدّمـه في السنّ وبلوغـه من العُمر زماناً بعيداً :

والنصّ يجري على نهج قصيدة مشهورة لأبي نواس أوّلُها :

أجـــارةَ بَيْتَيْنـــا أبــوكِ غَيُــورُ ومـيسورُ مـا يُرجى لـديـك عَسيرُ!

وقـد عـارضهـا غير واحـد فيهم ابن دراج القسطلي ينظر ديـوانـه ، وكتـابنـا : المختـار من الشعر الأندلسي] .

وقال(☆) : [من الطويل]

١ وكَمْ ظـاعِنٍ قـد ظنَّ أنْ ليسَ آيبـاً فـآبَ، وأوْدى حـاضرونَ كثيرُ!

٢ وإنَّ الـذي أعظمتـهِ مِنْ تَغَرُّبي عليَّ -وإن أعظمتِ ذاكَ- يَسيرُ

٣ رأيتُ الْمَنـايـا يُـدركُ العُصْمَ عَـدْوُهـا فيُنْـزِلُهـا والطَّيْرُ مَنـهُ تَطيرُ

٤ وعَلِّيَ أمضي ثمَّ أرجـعُ سـالمـاً ويهلـكُ بَعـدي آمنـونَ حُضـورُ

٥ جَعلتُ أُرَجِّيهـا إيـابي ومَنْ غَـدا على مِثْـلِ حـالي لا يكادُ يَحُـورُ

٦ وكيف أُبـالي والـزَّمـانُ قـد انقضى وعَظمي مهيضٌ والمكان شَطيرُ

٧ وإنِّي وإنْ أظهرتُ مِنِّي تَجَلُّـداً لـذو كَبِـدٍ حَرَّى عَليـكِ حَسيرُ!

(☆) **التخريج :**

القصيدة في بهجة المجالس (٢٣٣/١) في باب السفر والاغتراب .

الشُّروح :

(١) أودى : هَلك .

(٣) عُصْم جمع أعصم . وعَصِم الحيوان : كان في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . يقـال : ظبي أعصم ، وفرس أعصم ويقـال : غراب أعصم : أحمر المنقـار والرّجلين . والظبـاء من الحيوانات السَّريعة العَدْو .

(٥) حار يحور : رجع .

(٦) الشطير : البعيد . وهاضَ العظمَ : كسره بعد الْجُبور أو بعدما كاد ينجبر .

[٢٩]

[البيتان في تسويغ السفر والاغتراب ، وفيهما حُسْن التعليل . ولعلَّ القطعة ٢٩ والقطعة ٣٠ من أصل القصيدة ٢٨ في هذا الديوان] .

وقال(☆) : **[من الطويل]**

١ وإن مقـــامي شطرَ يـــوم بمنزلٍ أخـــافُ على نَفْسي بـــهِ لكثيرُ
٢ وقـد يهرُب الإنسـانُ من خِيفـة الرّدى فيـدركُـه مـا خـافَ حيثُ يَسيرُ!

(☆) **التخريج :**

البيتان في بهجة المجالس (٢٤٣/١) في باب التحوّل عن موطن الذلّ .

الشروح :

(١) الشطر من كل شيء : نصفه أو جُزؤه .

[٣٠]

وقال(☆) : **[من الطويل]**

١ وإنّ رَجـــائي في الإيـــابِ إليكمُ وإنْ أنـــا أظهرتُ العَـــزاءَ قصيرُ
٢ وإنْ كنتِ تَبغينَ الـوداعَ فبـــالِغي فـدونـكِ أحـوالٌ ـأرى- وشُهـور!

(☆) **التخريج :**

البيتان في بهجة المجالس (٢٥٤/١) في باب التّوديع والفراق .

شرح :

(٢) أحوال : جمع حول ، والْحَوْل : السَّنة .

[٣١]

[رسالة شعرية إلى أهله وذوي ودّه يبعث بها إلى قُرطبة ؛ ويذكر -خاصّة- من ارتبط بها فكانت هوًى له أو شريكة حياته ؛ وكنى عنها بشعاع الشمس . وفي آخر القصيدة تحيّة إلى آل جعفر (؟)] .

وقال(☆) : [من الطويل]

١ كتبتُ وشـوقٌ لا يُفـارقُ مُهجَتي ووجـدي بكُمْ مُستحكمٌ وتَـذكُّري
٢ بقرطبـةٍ قلبي وجِسمي ببلـدةٍ نـأيتُ بهـا عن أهـل وُدّي ومَعشري
٣ سقى الله من مُـزنِ السّحـائب ثَرّةً ديـاركُمُ الـلاتي حَـوَتْ كلَّ جـؤذرِ
٤ بحـقّ الهـوى أَقْرِ السَّـلامَ على الّتي أهيمُ بهـا عِشقـاً إلى يـوم مَحشري
٥ لئن غبتُ عنها فـالْهَوى غيرُ غـائبٍ مُقيمٌ بقلبِ الهـائمِ المتفطِّرِ
٦ كأنْ لم أبِتْ في ثـوبِها طـولَ ليلـةٍ إلى أنْ بَـدا وجـهُ الصّبـاح المنـوّرِ
٧ وعـانقتُ غصنـاً فيـه رُمّـانُ فِضّـةٍ وقَبّلْتُ ثغراً ريقُـه ريـقُ سُكّرِ
٨ أأنْسى ؟ ولا أنسى عنـاقـكِ خـاليـاً وضَمّي ، ونُقلي نظمُ دُرٍّ وجـوهرِ
٩ فـواحَـزَني أنْ فَرّقَ الـدّهرُ بَيننـا وكـدَّر وصـلاً منـكِ غيرَ مُكَـدّرِ
١٠ لقـد غُرّرتْ نَفسي بحبّـك ضَلّـةً ولـو علمتْ عُقبى الْهَـوى لم تُغرّرِ!
١١ بكيتُ فمـا أغْنى البُكا عنـد صَحبتي وشَـوقي إلى ريمٍ من الإنسِ أحـورِ
١٢ سـلامٌ سـلامٌ ألفَ ألفٍ مكرّرٍ ويـا حـامـلاً عنّي الرّسـالـةَ كرّرِ!
١٣ ألا يـا نسيمَ الرّيـحِ بلّـغْ سـلامَنـا وصِفْ كُـلّ مـا يَلقى الغَريبُ وخَبّرِ
١٤ وقـلْ لِشُعـاعِ الشّمس: بلّـغْ تحيّتي سَمِيَّـك واقرأْهـا على آلِ جعفرِ!

(☆) **التخريج :**

القصيدة في العقد (٣٥٣/٥) .

الشروح :

(٣) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وتشبه به المرأة .

(٥) في العقد (مقيماً) وقرأت البيت على ما ترى .

(٨) النَّقل (وقد تضم النون نُقل) : ما يُتَنَقَّل به على الشَّراب من المكسّرات وغيرها .

(١١) الرِّيم : الظّبي الخولص البَياض . والأحور : شديدُ سَوادِ العين مع شدّة بياضها .

[٣٢]

وقال[☆] : [من الكامل]

١ منْ ظنَّ أنّ الـــدَّهْرَ ليس يُصيبــــه ... بــالحــادثـــاتِ فـــإنّـــهُ مَغْرورُ
٢ فــالْقَ الـزّمــانَ مُهوِّنــاً لِخُطـوبِـه ... وانجَرَّ حيثُ يَجُرُّكَ الْمَقْــــــدورُ
٣ وإذا تَقلَّبَتِ الأُمــورُ ولم تَـــــدُمْ ... فسَــــواءٌ المحـــــزونُ والْمَسْرورُ!

(☆) **التخريج :**

الأبيات في نفح الطيب (٢/٢٦٠) .

شرح :

(٢) خُطوب الزّمان : شدائدُه .

[٣٣]

[في القطعة تسويغٌ لحياة من لم يتزوّج ، فكأن القطعة - إن كانت حكاية حال - من شعر الشباب ، وفيها تعليلٌ لموقفه وإن كان تعليلاً شعرياً لا يستقيم مع المنطق] .

وقال[☆] : [من الكامل]

١ أنــا شــاعرٌ أهــوى التّخلّي دون مــا ... زوجٍ لكيـــــــــا تخلصَ الأفكارُ
٢ لــو كنتُ ذا زوجٍ لكنتُ مُنَغَّصـــــاً ... في كل حينٍ رزقَهـــــا أمْتـــــارُ
٣ كم قـائـلٍ: قـد ضـاعَ شَرْخُ شبــابـهِ! ... مــاضَيّعَتْــهُ بَطـــالِـــةٌ وعُقــارُ

(☆) **التخريج :**

نقلها في (ظهر الإسلام) ٣/١١٢

الشروح :

(١) التخلّي : التفرّغ .

(٢) امتار لأهله : تطلّب لهم الميرة . (والميرة : الطعام يمتاره الإنسان) .

(٣) الشّرخ من الشباب - وكل أمر - أوله ونضارته وقوّته .

٤ إذْ لم أزلْ في العلم أجهـــدُ دائمـــاً حتى تـــأتَّت هــــذهِ الأفكارُ
٥ مهما أرُم من دونِ زوجٍ لم أكن كـــلاًّ، ورزقي دائمــاً مِـــدْرارُ
٦ وإذا خرجتُ لُنزهـــةٍ هُنّيتُهـــا لا ضيعـــةٌ ضـــاعَتْ ولا تـــذكارُ!

(٤) العُقار : من أسماء الخمر .
(٥) الكَلُّ : من كان عِيالاً على صاحبه .

[٣٤]

وقال(☆) : [من الطويل]

١ لعمريَ مـــا ملّكْتُ مِقــوديَ الصِّبــا فــأمْطُـوَ للـذّاتِ في السهلِ والـوعرِ
٢ ولا أنـــا ممّن يـؤثِرُ اللهــوَ قلبُـــه فــأُمسي في سكر وأصبـحَ في سُكرِ
٣ ولا قــارعٌ بــابَ اليَهـوديِّ مَـوْهنـاً وقـد هَجع النُّـوامُ من شهـوةِ الْخَمْرِ
٤ وأوتغَـــهُ الشَّيطـــانُ حتى أصـــارَهُ من الغَيِّ في بَحرٍ أضــــلَّ من البحرِ
٥ أغُــذُّ السُّرى فيهــا إذا الشَّرْبُ أنكروا ورهنِيَ عنـد العِلْجِ ثَـوبِي من الفجْرِ
٦ كأني لم أسمــعْ كتـــابَ مُحمَّـــدٍ ومـا جاءَ في التّنزيلِ فيـه من الزَّجْرِ
٧ كفــانيَ منْ كلّ الـذي أُعجبـوا بــهِ قُلَيلـــةُ مـــاءٍ تُسْتَقى لي من النَّهرِ

(☆) **التخريج :**

القصيدة في العقد (٣٥٢/٥) .

الشروح :

(١) فأمطو : فأسرع .
(٣) ذكر اليهوديّ لأنه كان ممّن يبيع الخمرة .
(٤) أوتغه الشيطان : أفسده ، وقاده إلى التهلكة .
(٥) أغذّ السّير : أسرع .
(٧) قُليلة : تصغير قُلّة ، وهي الجرة من الفخّار يشرب منها .

٨ ففيهـا شَرابي إن عطشتُ وكُـلّ مـا يريـدُ عِيـالي للعَجينِ وللقِـدْرِ
٩ بخبزٍ وبَقْـلٍ ليس لَحْماً وإنّني عَليـهِ كثيرُ الحمـدِ للهِ والشُّكرِ
١٠ فيا صاحبَ اللُّحْمانِ والْخَمرِ هل ترى بـوجهي إذا عـاينتَ وجهيَ من ضُرٍّ؟
١١ وبـالله لـو عُمّرتُ تِسعينَ حجّـةً إلى مِثلهـا مـا اشتقتُ فيهـا إلى خَمرِ
١٢ ولا طربتْ نفسي إلى مِـزهَرٍ ولا تَحَنّنَ قلبي نحـوَ عُـودٍ ولا زَمْرِ
١٣ وقـد حـدّثـوني أنّ فيهـا مرارةً وما حاجةُ الإنسان في الشّرب للْمُرّ؟
١٤ أخي! عُـدّ مـا قـاسيتَـهُ وتَقلّبَتْ عليـكَ بـه الـدُّنيـا من الْخَيرِ والشرّ
١٥ فهل لكَ في الدُّنيـا سوى السّاعـةِ التي تكـونُ بهـا السّرّاءُ أو حـاضِرُ الضُّرِّ
١٦ فمـا [كانَ] منهـا لا يُحَسُّ ولا يُرى ومـا لم يكنْ منهـا عَمِيٌّ عن الفِكْرِ
١٧ فطـوبى لعبـدٍ أخرج الله روحَـهُ إليـه من الـدُّنيـا على عمـلِ البرِّ
١٨ ولكنّني حُـدّثت أنّ نُفـوسَهُمْ هنـالـكَ في جـاهٍ جليـلٍ وفي قَـدْرِ
١٩ وأجسـادُهم لا يـأكل التُّربُ لحمَهـا هنـالـك لا تَبْلى إلى آخرِ الـدّهرِ

(١٠) اللحمان جمع اللحم (ومثلها لُحوم وألْحُم ولِحام).

(١٢) المزهر: العود.

(١٥) مثل قول الشاعر:

ولكَ السَّاعةُ الّتي أنت فِيها!

قراءة:

ورد البيت السادس عشر في الأصل: فما «ساق» منها. قلت: أظن أن «ساق» تحريف عن «كان». وقارن بالشطر الثاني.

[٣٥]

وقال(☆) : [من الطويل]

١ ولا والهوى ما الإلفُ زارَ على النَّوى يَجوبُ إليَّ الليلَ في البلدِ القَفْرِ
٢ ولكنّهُ طيفٌ أقامَ مثالَهُ لِعَينيَّ في نَومي خَواطِرُ مِن فِكْرِي !

(☆) التخريج :
البيتان في كتاب التشبيهات : ١٦٣ من باب في (الخيال) .

[٣٦]

وقال في (نصر) وذكر مسكنه بِمُنيته إلى جانب مقابر الرَّبَض والنَّهر(☆) :
[من الطويل]

١ أيا لاهِياً في القَصْرِ قُرْبَ المقابرِ يَرى كلَّ يومٍ وارداً غيرَ صادرِ
٢ كأنَّكَ قد أيقنْتَ أنْ لَسْتَ صائراً غداً بينهُمْ في بعضِ تلكَ الْحَفائِرِ
٣ تراهمْ فتلهُو بالشَّرابِ وبعض ما تَلَذُّ بهِ من نقْرِ تلكَ الْمَزاهرِ
٤ وما أنتَ بالْمَغْبُونِ عَقلاً ولا حِجىً ولا بقليلِ العِلْمِ عندَ التَّخابُرِ
٥ وفي ذاكَ ما أغناكَ عن كُلِّ واعظٍ شفيقٍ، وما أغناكَ عن كُلِّ زاجرِ
٦ وكمْ نِعْمَةٍ يَعْصِي بها العبدُ رَبَّهُ وبَلْوى عَدَتْهُ عن رُكوبِ الكبائِرِ
٧ ستَرحَلُ عن هذا وإنَّكَ قادِمٌ وما أنتَ في شكٍّ على غيرِ عاذِرِ!

(☆) التخريج :
القصيدة في الْمُقتبس (د . مكّي ـ بيروت) : ١٢

الشروح :
(١) يَرى ميّتاً وارداً إلى المقبرة (غير صادر عنها) .
(٢) الحفائر ج الحفير : القبر .
(٣) المزاهر ج المزهر : العود الذي يضرب (يعزف) به .

تعليقات :

مُنْيَةُ نَصر : قرية قريبة من قرطبة مُوفية (مُشرفة) على النهر (نهر الوادي الكبير) كانت في غربيّ قرطبة على ضفّة النَّهر المذكور ، قريباً من مقبرة الرَّبض . وقد اهتم الأمير عبد الله بن محمد بها ، فيما بعد ، وشيّدها . قال في الروض المعطار : « وهي مُنيةٌ فسيحة ذات مبانٍ رفيعة » .

مقابر الرَّبَض : قريبة من قرطبة ، وهي تحمل اسم الرَّبض الذي كانت فيه ثورة على الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ هـ وقمعها الحكم وهدم مبانيها وبقيت خلاء إلى سقوط قرطبة .

والرَّبَضُ - لغةً - : ناحية المدينة ، والضّاحية . وربض قرطبة محلّةٌ فيها .

[٣٧]

ولما حَمل (نصر) الدواء للأمير عبد الرحمن أظْهر التوعُّك ، وأمره أن يشربه ، فتمنّع ، ثم عزم الأمير عليه فشربه (مرغماً) واستأذن فخرج مسرعاً إلى منزله يطلب إسعافَ الحراني ... ولكنه عوجل قبل أن يحضر العلاج ؛ **فقال الغزال**(☆) :

[من البسيط]

١ أغْنى أبا الفَتْحِ ماقد كانَ يأملُه ... من التَّصانُع والتَّشريف للدُّورِ
٢ وكُلّ عَرْضٍ وقرضٍ كانَ يجمَعُهُ ... حفيرةٌ حُفِرَت بين المقابيرِ
٣ لم يأْلُها القومُ تَضْييقاً ولا وقعَتْ ... فيها الكرازِيْنُ إلاّ بعدَ تقْديرِ
٤ فصار فيها كأشْقى العالمينَ وإن ... لَفُّوهُ بالنَّفْحِ في مِسْكٍ وكافورِ

(☆) **التخريج :**

القطعة في المقتبس (د . مكي - بيروفي) : ١١ ذكرها ابن حيان بعد خبر نصر الخصّي ومصرعه .

شروح :

(١) أبو الفتح هو نصر الخصي .

(١-٢) التصانع ، والتشريف للدور ، والمقابير ، هكذا استعملها الغزال .

(٣) الكراز : القارورة ، أو كوز ضيّق الرَّأس . والجمع كراز وكرزان على زنة غراب وغربان . ولعله المقصود ولم أجد في الجموع كرازين ، وكأنه جمع الجمع .

٥ ماالعَرْفُ لو أخْبَرونا بعد ثالثةٍ إلاّ كعَرْفِ سواهُ في المناخيرِ
٦ وكان أزْمع شيئاً لم تكنْ سَبقتْ به مِن الله أحكامُ المقاديرِ
٧ إذا أرادَ الإلهُ الشيءَ كوَّنَهُ فلَنْ يَضُرَّكَ فيهِ سوءُ تَدبيرِ!

(٥) العَرْف : الرائحة (مطلقاً) وأكثر ماتستعمل الكلمة في الطيّبة منها .

(٦) كان نصر قد واطأ الطبيب يونس بن أحمد الحرّاني على صنع دواء للأمير عبد الرحمن وأن يخلطه بسمّ سريع الأثر ، وبالغ في إكرام الطبيب ووعده المواعد . ولكنّ الحرّاني أسرَّ إلى جارية للأمير فاحتاط عبد الرحمن لنفسه . ثم إن الأمير أمره أن يشرب الدواء فمات منه .

[٣٨]

وقال(☆) : **[من الوافر]**

١ أرى أهلَ اليَسارِ إذا تُوفُّوا بنَوْا تلكَ المقابرَ بالصُّخورِ
٢ أبَوْا إلا مُباهاةً وفَخراً على الفُقَراءِ حتّى في القُبورِ!
٣ فإن يكنِ التَّفاضُل في ذُراها فإنّ العدلَ فيها في القُعورِ
٤ رضيتُ بمَنْ تأنّق في بناءٍ فبالغَ فيهِ تصريف الأُمورِ
٥ ألّما يُبصروا ماخرّبَتْهُ الدُّهُورُ من الْمَدائن والقُصورِ
٦ لعَمرُ أبيهمُ لو أبصَروهُمْ لما عُرِفَ الغنيُّ من الفقيرِ
٧ ولا عَرفُوا العبيدَ من الْمَوالي ولا عَرفوا الإناثَ من الذُّكورِ
٨ ولا مَن كان يلبسُ ثوبَ صوفٍ من البَدَنِ المباشِرِ للْحَريرِ
٩ إذا أكل الثَّرى هذا وهذا فما فَضْلُ الكبيرِ على الحقيرِ؟!

(☆) **التخريج :**

القصيدة في نفح الطيب (٢٥٦/٢) .

في الرّواية :

٤ . في متن النصّ ، في الأصل : « تصريف الدُّهور » ونبّه المحقق في الحاشية إلى رواية أخرى « تصريف الأمور » واعتمدت هذه الرّواية .

[٣٩]

وقال(☆) : [من الوافر]

١ وخيَّرها أبوها بين شيخٍ كثير المالِ أو حَدَثٍ فقيرِ
٢ فقالتْ: خُطَّتا خَسْفٍ وما إنْ أرى مِن حُظوةٍ للْمُسْتخيرِ
٣ ولكنْ إن عَزمْتَ فكلُّ شيءٍ أحبُّ إليَّ من وَجهِ الكبيرِ!
٤ لأنَّ المرءَ بعد الفَقرِ يُثري وهذا لا يَعُودُ إلى صَغيرِ!

(☆) التخريج :
القطعة في جذوة المقتبس : ٢٥٢ . وبغية الملتمس : ٤٨٦

[٤٠]

وقال الغزال ؛ وذكر عُمَيْراً الضاغط ، في معرض تخويف بعض الظَّلمة . والضاغط ، في الاصطلاح الأندلسي آنذاك ، هو المكلَّف بالتعذيب . ونقل ابن حيّان أن عُمَيْراً هذا كان ضاغطاً للأمير محمد ، وكان يتولّى تعذيب مَنْ يسخط عليه ، يُبدعُ في ذلك مكاره يُستعاذ بالله منها . وكان شديد القساوة ، فظّاً لا يعرف الرّحمة . فله في شأنه أخبارٌ معروفة . قال : وإيّاهُ عنى الغزال بقوله في تخويف بعض الظَّلمة(☆) :

[من مجزوء الرَّمَل]

١ فكأنّي بِعُميرٍ منك قد سَلَّ الْحُشاشَهْ
٢ أنت ، والله ، كما حامت [على] النّار الفراشَهْ

(☆) التخريج :
النص في المقتبس (د . مكي ـ بيروت) : ١٨٥

[٤١]

ولَحاقَ (محمّد) عنى الغزال بقوله(☆) : [من الرجز]

أدركتِ بالِمِصْرِ ملوكاً أرْبعهْ وخامساً هذا الّذي نحنُ مَعَه !

(☆) التخريج :

البيت في المقتبس (د . مكي ـ بيروت) : ١٣٤ . ونفح الطيب ٢/٢٥٥

تعليق :

قدم المقري في النفح للبيت بقوله إن الغزال : « عُمّر أربعاً وتسعين سنة ، ولحق أعصار خمسة من الخلفاء المروانية بالأندلس ، أوّلهم عبد الرحمن بن معاوية ، وآخرهم الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم » .

[٤٢]

وللغزال في عَدْلين من عُدولِ (مُعاذ)(☆) : [من الطويل]

١ أتاكَ أبو حَفصٍ ويَحْيي بنُ مالكٍ فأهلاً وَسَهْلاً [بالوغى] والمعامعِ
٢ رجالٌ إذا صَبُّوا عليكَ شهادةً حكتْ فيكَ وقْعَ الْمُرْهفات القواطعِ
٣ أقولُ لديكي إذْ رأيتُ وجوهَهُم تعزَّ فقد جاءتكَ إحدى الفجائعِ
٤ رنى واستهلَّتْ عندَ ذاكَ دُموعُهُ وقال: كثيراً ما أفاضُوا مَدامِعي !!

(☆) التخريج :

النص في المقتبس (د . مكي ـ بيروت) : ٧٠

تعليق :

(مُعاذ) هو القاضي مُعاذ بن عثمان الشّعباني (وله خبر في آخر قافية اللاّم) . تقلّد القضاء سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، فعمل عليه ثلاثة أعوام ، ومات وهو يليه سنة أربع وثلاثين ومئتين . (قضاة قرطبة ٥٥ ـ ٥٧ . المقتبس ٦٨ ـ ٧١) .

(الوغى) زيادة من محقق المقتبس .

[٤٣]

وقال(☆) : [من السّريع]

١ سـألتُ في النـوم أبي آدمـاً فقلتُ والقلبُ بـه وامِـقُ :
٢ أابنُـكَ بـالله أبـو حـازمٍ صلّى عليـك المـالـكُ الخـالـقُ ؟
٣ فقـالَ لي : إن كان مِنّي ومِن نَسْلي فحَـوَّا أُمُّكُمْ طـالِـقُ !!

(☆) التخريج :
القطعة في نفح الطيب (٢ : ٢٥٦) وقدّم للأبيات بقوله : « وقال سامحه الله ! » .

تعليق :
ظاهر أن الأبيات تعريض يتجاوز إلى الهجاء السّاخر بـ (أبي حازم المذكور) .
ولم أهتد إلى خبر لأبي حازم ينبّه عليه .
قلت : معنى هذه الأبيات سائرٌ بين العامّة في مثل يجري مجرى القصّة أو الحكاية !
وهو كقول بعض المغاربة في البربر (معجم البلدان : بربر) :

رأيتُ آدَمَ في نـومي فقلتُ لـه : أبـا البريّـةِ إنّ النّاسَ قد حَكَمُوا
أنّ البَرَابِرَ نَسْلٌ مِنْكَ ، قالَ : أنا ؟! حوّاءُ طـالقـةٌ إنْ كانَ مـا زَعَمُوا !!

[٤٤]

نقل ابن حيّان في المقتبس أنه « قد لحق يحيى الغزالُ الشاعر البعيد (؟) كبيرُ الشُّعراء بيعة الأمير محمد ، وله فيها شعر معروف ل أصبت منه بعد مدّة بخطّ عُبادة الشّاعر بيتين استشهد بهما على لحاق الغزال إلى البيعة ، وهما(☆) :

[من المنسرح]

١ إنّ سَمِيَّ النّبيّ فضّـلـه الـ ـلـهُ على كُـلِّ مَنْ مَضَى وبَقِي
٢ مـدَّ لـهُ الْمَلـكَ سَـاعِـدَيْنِ لَـدُنْ أقْبَـلَ للحبّ مـدَّ مُعتنـقِ

(☆) التخريج :
النص في المقتبس (د . مكي ـ بيروت) : ١٣٤

تعليقات :

☆ « يحي الغزال الشاعر البعيد » كذا في المطبوع . ولعلّه استعملها بمعنى القديم . أم أنّ بعدها صفة محذوفة ؟ (البعيد الصّيت ؟) .

☆ الشطر الثاني في البيت الثاني ، كذا بالأصل .

☆ **عبادة الشاعر** : هو ـ فيما أرجّح ـ عبادة بن ماء السّماء (٣٥٠ ـ ٤٢٢ ؟) شاعر ، وشاح ، مصنّف . وله مكانة بارزة في نظم الموشحات وتطويرها .

وهو صاحب كتاب (أخبار شعراء الأندلس) .

(جذوة المقتبس : ٢٧٤ ، بغية الملتمس : ٢٨٣ ، الصّلة : ٤٢٦ ، الذخيرة : ٤٦٨/١ ، المغرب : ١١٥/١) .

[٤٥]

وقال(☆) : **[من السّريع]**

١ يُعرفُ عقـــلُ المرءِ في أربــــعٍ مِشْيَتُـــــهُ أوّلُهـــــا ، والْحَرَكْ

٢ وَدَوْرُ عَينيـــــهِ ؛ وألفــــاظُـــــهُ بعـــدُ عليهنَّ يـــدورُ الفَلَـــكْ !

(☆) **التخريج :**

القطعة في بهجة المجالس (١ : ١٩٩ ، ٥٤٦) في باب العقل والحمق .

تعليق :

☆ قوله : « وألفاظه بعد عليهنّ .. » ينظر إلى قول زهير :

وكائن ترى من منصت لـك معجب زيـــادتُـــه أو نقصُـــه في التكلّم

[٤٦]

ومن قوله أيضاً الْمُتَّفق عَليه في جميع الروايات(☆) : **[من الكامل]**

١ يـــا راجيـــاً وُدَّ الغـــواني ضَلّـــةً ففـــؤادُه كَلَفـــاً بهنَّ مُـــوَكَّـــلُ

٢ لا تكلفَنَّ بـــــوصلهنّ فـــــإنّما الـ كلفُ المحبُّ لهنَّ مَنْ لا يعقـــــلُ

٣ إنَّ النِّســـــاءَ (.....) حقيقـــــة فـــالسَّرجُ سَرْجُـــكَ ريثما لا تنزلُ

٤ فـإذا نـزلتَ فـإنَّ غيرك نـازلٌ ذاكَ المكان وفـاعـلٌ مـا تفعـلُ
٥ أو منزلُ المجتـاز أصبـح غـاديـاً عنـهُ، وينزلُ بعـده مَنْ ينزلُ
٦ أو كالثّمار مبـاحـةً أغصـانُهـا تـدنُـو لأوّلِ مَن يَمُرُّ فتـؤكَـلُ
٧ أعْـطِ الشبيبـةَ لا أبـا لـكَ حقَّهـا منهـا فـإنَّ نعيمَهـا متحَـوِّلُ
٨ وإذا سُلبت ثيـابَهـا لم تنتفـعْ عنـد النّسـاء بكلِّ مـا يُسْتبـذلُ!

(☆) **التخريج :**

القصيدة في المطرب : ١٤٩ ، ونفح الطيب : ٢٥٩/٢ (عدا البيت الثاني) .

الرّوايات :

٨. في النفح : ماتستبدل (بالدال المهملة) .

[٤٧]

ومن قوله في الزُّهد(☆) : **[من الكامل]**

١ النَّـاسُ خَلـقٌ واحِـدٌ مُتَشـابِـهٌ لكنّما تَتخـالفُ الأعمـالُ
٢ ويُقـالُ حَقٌّ في الرِّجـالِ وبـاطـلٌ أيُّ امرئٍ إلاّ وفيـهِ مقـالُ؟
٣ ولِكُـلِّ إنسـانٍ بمـا في نفسـهِ من عَيْبِـهِ عن غيره أشغـالُ
٤ يَستثقـلُ اللَّممَ الخفيفَ لغيرهِ وعليـهِ من أمثـالِ ذاكَ جبـالُ!
٥ وينـامُ عن دُنيـاهُ نـومـةَ قـانِـعٍ بنعيمِ دُنيـاهُ، وذاكَ خَيـالُ
٦ ورأيتُ ألسِنَـةَ الرِّجـالِ أفـاعيـاً طـوراً تثـورُ وتـارةً تَغْتـالُ
٧ فـإذا سَلِمتَ من المقـالـةِ غيرَمـا تَجني، فـأنتَ الأسعـدُ المِفضـالُ!

(☆) **التخريج :**

القطعة في المطرب : ١٥١

الشرح :

(٤) اللَّمَم : الذّنب الصغير .

[٤٨]

وقال(☆) : [من الكامل]

١ والْمَرءُ يَعجبُ من صَغيرةِ غيره أيُّ امرئٍ إلاّ وفيــــه مَقــــالُ
٢ لَسْنــــا نَرى مَنْ ليسَ فيـــهِ غَميزةٌ أيّ الرِّجــالِ القــائــلُ الفعّــالُ ؟!

(☆) التخريج :

البيتان في نفح الطيب : ٤٣٨/٣

شرح :

(٢) الغَميزة : العَيب .

تعليق :

قارن البيت الأول بالبيت الثاني من القطعة السّابقة .

[٤٩]

نقل ابن حيّان في المقتبس في ترجمة (مُعاذ بن عثمان الشعباني) عن محمد بن حارث الخشني ، والصّياغة له : قال :

ولّى الأميرُ عبد الرحمن بن الحكم قضاء الجماعة معاذ بن عثمان الشعباني من أهل جيّان ؛ فكان قاضياً بقرطبة سبعة أشهر ، ثم عزله . وكان السّبب في عزله ـ زعموا ـ تعجيله بالحكومة ، وأنه أُحصي عليه في مدّته تلك سبعون قضيّة أنفذها ، فاستكثرت منه ، وخيف عليه الزلل فعجّل عزله . وقد كان ـ فيما سمعنا به ـ حسن السيرة . ليّن العريكة ؛ خالق الناس بغير خلق (يُخامر) أخيه ، وطلب التخلّص منهم فما استوى له ذلك .

وسمعت من يحكي عنه أنه كانت معه صحّة ضمير ، وسلامة قلب . وكان لا يظن بأحدٍ شرّاً . وكان قد ولّى الأحباس بقرطبة رَجُلاً أحسن الظنّ به ، فلما بَلاه أكْذَبَ ظنّه . فقال فيه يحيى الغزال(☆) :

[من الطويل]

١ يقــولُ لي القــاضي مُعــاذٌ مُشــاوِراً ووَلّى امرءاً ـ فيما يَرى ـ من ذَوي العــدلِ :

٢ فَـديتُـكَ ! مـاذا تحسبُ المرءَ صـانِعـاً فقُلتُ: وماذا يفعلُ الدّبُّ في النّحْلِ ؟
٣ يَـدُق خَـلايـاهـا ويـأكلُ شهـدَهـا ويتركُ للـذّبـانِ مـا كانَ من فَضْـلِ !!

(☆) **التخريج :**

الأبيات في قضاة قرطبة : ٥٦ ، والمقتبس لابن حيان : ٧٠ ، والعقد لابن عبد ربّه : ٢١٧

الرّوايات :

١. في قضاة قُرطبة : من ذوي الفضل .

٢. في قضاة قرطبة : الدب بالنحل .

٣. في العقد والمقتبس : قعيدك ماذا ...

٢. في العقد : (الدّبر) بدلاً من (الدبّ) .

[٥٠]

نقل ابن سعيد في (المغرب في حُلى المغرب) في الغزال :

« شاعر ، أديب ، حكيم . أرسله عبد الرحمن الأوسط إلى صاحب القسطنطينيّة ، وحصل له أُنسٌ مع السلطان وزوجته . فجاءته ليلةً بخمر ، وقالت له : اشرب هذه مع ابني هذا ، وكان غلاماً بديع الجمال ، فذكر أنّ ذلك لا يجوز في دينه ، ثم ندم وقال(☆) :

[من الوافر]

١ وأغيـــدَ ليّن الأعطـــافِ رَخْصٍ كَحيـلِ الطّرفِ ذي عُنـقٍ طـويـلِ

(☆) **التخريج :**

النصّ في مقالة ل . بروفنسال (مجلة بيزانسيون ١٩٣٧) والإشارة برمز (ل) في الحاشيـة إلى هذا النص كما نقله المستشرق المذكور .

وفي المغرب (٥٨/٢) الأبيات ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤

الروايات :

١. في ل : ذو عنق .

٨. في ل : مطربا .

شروح :

(١) رخُصَ : نَعُمَ ولان .

٢ تَرى مـــاءَ الشّبـــابِ بـوجنتيـــهِ | يلـــوحُ كرَونـــق السّيفِ الصّقيـــلِ
٣ مِنَ ابنــــاءِ الغَطـــارفِ قيصَريٍّ العُمــــومــــةِ حينَ يُنسبُ والْخُـــؤول
٤ كأنَّ أديمَـــــهُ نِصفـــــاً بنصفٍ | من الــذّهب الــدّلاصِ أو الــوذيــلِ
٥ ورُبَّما أكرّرُ فيـــــــــــه طَرفي | فــــأحسب أنــــه من عَظم فيــلِ
٦ على قـــــدٍّ ســـــواءِ لا قَصيرٍ | فتحقِرَهُ ولا هـــو بـــــالطّـــويــلِ
٧ ولكنْ بين ذلــــــك في اعتـــــدالٍ | كغصن البــــان في قُرْبِ الْمَسيــلِ
٨ يحنُّ إليَّ مُطّرفـــــــــاً لشكلي | ويُكثر لي الـــزيـــارةَ بــــالأَصيلِ
٩ أتى يـــومـــــاً إليَّ بـــزقّ خمرٍ | شمــولِ الرّيــح كالمِسْــكِ الفتيــلِ
١٠ ليشربَهـــا معي ويَبيتَ عِنـــدي | فيَثبتَ بيننـــــا وُدُّ الخليــــلِ
١١ وجـــاءتْ أُمّـــه معـــهُ فكانـــا | كأمِّ الخِشف، والرَّشـــأ الكحيــلِ
١٢ تُـــوصّيني بـــــه وتقـــول: أخشى | عليـــه البَرْدَ في اللّيــلِ الطّـــويــلِ
١٣ فقلتُ حمــــاقـــــةً مِني ونُـــوكاً | فــديتُـــك لسْتُ من أهــلِ الشمــولِ
١٤ فـــأيــــةُ غِرَّةٍ سُبحــــانَ رَبّي | لــو اني كنتُ من أهــلِ العُقــولِ ؟!

(٤) الدلاّص : اللّيّن البرّاق الأملس . والوذيل : جمع الوذيلة وهي السبيكة من الفضّة المجلوّة خاصّة .

(١٢) الخِشْف : ولد الظَّبية أوّل ما يولد . النُّوك : الْحُمق .

تعليق :

ظاهر أن عبارة (النَّدم) في تقديم النَّص مُجازفةٌ من ابن سعيد ؛ وإنّما هو مقالٌ شِعريّ من الغَزال . والدُّعابة غالبةٌ على القصيدة كما هو واضح .

[٥١]

نقل ابن عذاري في (البيان المغرب) أن الغزال دخل يوماً على الأمير عبد الرحمن بن الحكم فقال له الأمير :

☆ جاء الغَزالُ بحسنِه وجَمالِهِ ☆

فقال له الوزير : « أجِزْ ما بدأ به الأمير » .

فقال له الغزال(☆) : **[من الكامل]**

١ قال الأميرُ مُداعباً بمقالِهِ «جاءَ الغزال بحسنِهِ وجمالِهِ»
٢ أينَ الجمالُ من امرئٍ أربى على متعدّد التسعينَ من أحوالِهِ
٣ وهل الجَمالُ ـ له الجمالُ ـ من امرئٍ ألقاهُ ريبُ الدهر في أغلالِهِ
٤ وأعادَهُ من بعدِ جِدَّتِهِ بِلىً وأحال رونقَ حالِهِ عن حالِهِ

(☆) **التخريج :**
النصّ والقطعة في البيان المُغرب لابن عِذاري ٩٣/٢

[٥٢]

نقل ابن دِحْيَة في المطرب أنه : لما وفد على السلطان (يعني الأمير المرواني عبد الرحمن الأوسط) رُسُلُ ملك المجوس تطلبُ الصلحَ بعد خروجهم من إشبيلية ، وإيقاعهم بجهاتها ثم هزيمتهم بها ، وقتل قائد الأسطول فيها ، رأى أن يُراجعهم بقبول ذلك ، فأمر الغَزالَ أن يمشي في رسالته مع رسُل ملوكهم ، لِما كان الغزال عليه من حدّة الخاطر ، وبديهة الرأي ، وحُسن الجواب ، والنجدة ، والإقدام ، والدخول والخروج من كل باب ؛ وصحبته يحي بن حبيب . فنهض إلى مدينة شِلْب ؛ وقد أنشئ لهما مَرْكبٌ حسن كامل الآلة . وروجع ملك المجوس على رسالته وكوفئ على هديّته . ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاؤوا فيه مع مركب الغزال . فلَمّا حاذوا الطرف الأعْظَم الداخل في البحر الذي هو حدّ الأندلس في آخر العرب ، وهو الجبل المعروف بألوية هاج عليهم البحر ، وعصفت بهم ريحٌ شديدة ، وحصلوا في الحدّ الذي وصف الغزالُ في قوله(☆) :

[من مجزوء الرمل]

(أ)

١ قـــال لي يَحيي وصِرْنــا ... بينَ مـــوجٍ كالجبـــال
٢ وتـــولَّتْنـــا ريـــاحٌ ... من دَبُـــورٍ وشَمال[١]
٣ شَقّتِ القِلْعَيْنِ وانبـ ... ـتَّتْ عُرى تلــكَ الحِبـال[٢]
٤ وتَمطّى ملَـــكُ الْمَـــو ... تِ إلينــا عن حِيـــال[٣]
٥ فرأينـــا المـــوتَ رأيَ الـ ... ـعَيْنِ حـــالاً بعـدَ حـال
٦ لم يكنْ للقـــومِ فينـــا ... يــا رَفيقي رأسُ مـــال !

(☆) **التخريج :**
النص جميعاً في المطرب : ١٣٩ ـ ١٤٠ . والأبيات في النفح ٢/٢٥٩ ـ ٢٦٠
وأبيات القسم (أ) في : جذوة المقتبس : ٢٥٢ ماعدا البيت الأخير . وبغية الملتمس : ٤٨٥
والبيت الثاني في الجذوة :

وتـــولتنـــا عصـــوف ... من جنـــوب وشمال

وأبيات القسم (ب) : في نفح الطيب : ٢/١٦٠

شروح :
(١) الدَّبور : ريح تهبّ من المغرب ، تُقابل الصَّبا .
(٢) القِلعان : مثنّى القِلْع ، وهو شراع السفينة .
(٣) الحِيال : قُبالة الشيء ؛ يُقال : قعد حيالَه وبحياله ؛ بإزائه .

وهذا القصيد يجول عليه رونق الانطباع ، وهو القريب غير المستطاع . ورأيت له من هذا القصيد معنىً انفرد باختراعه ، وأبدع ما شاء في إبداعه ، وهو قوله :

(ب)

وسُليمى ذاتُ زُهْـــدٍ ... في زهيـــدٍ من وصـــال
كُلَّما قلتُ صِليني ... حـــاسَبَتني بـــالْخَيـــال

وهذا معنىً عجيب ، ومعنىً غريب ، وزاد فيه بعد ذلك فقال :

(جـ)

والكَرى قــــد مَنِعَتْــــهُ مُقلتي أُخرى الليــــــالي[1]
وهيَ أدْرى فلمـــــــاذا دافَعَتني بِمُحـــــــال ؟
أَتُراني أَقتضيهـــــــا بَعْـــدُ شيئـــاً من نَـــوالِ

شروح :

(١) الكَرى : النّوم ، والنعاس .

تعليق :

علّق الدكتور حسين مؤنس على هذا في مقالته (غارات النورمانيين على الأندلس) : « لابدَّ أن الغزال يصف بهذه الأبيات مروره ببحر المانش وما قاساه من أمواجه . وقد مرَّ الغزال في هــذا البحر في شهر سبتمبر (أيلـول) وهـو شهر تتعـالى فيـه أمـواجـه وتكثر أخطـاره » صفحة ٥٤ . من المجلة التاريخية المصرية (١٩٤٩ م) .

[٥٣]

[يخاطب الغزال في الأبيات رجلاً ألحّ عليه في أن ينال منه مالاً ، أو صدقة ، أو سهماً يُعتدُّ في الزكاة . وكان الشاعر وقتها ـ كما يبدو ـ فقيراً لاتجب عليه زكاة ، ولا يتمكّن من صدقة !
وقد يكون الكلام على جهة العبث والمداعبة !] .

وقال الغزال وقد هزّه رجلٌ إلى العطاء(☆) : [من الخفيف]

١ قُلتُ إذ كرَّر الْمَقــالـــةَ : يَكفي ! أنْتَ أوْلَى بِــدرهمي أم عِيــالي ؟
٢ لسْتُ ممن يكــونُ يَخْــدَعُــه مِثْـ ـلُــكَ ؛ فــاعلَمْ ؛ بِهــذهِ الأقـوالِ
٣ مــا أُؤَدّي الـــزَّكاةَ إلا كما يُعْصَرُ زِقٌّ مُعَسَّـــلٌ بـــالحِبــــالِ ! !

(☆) **التخريج :**

القطعة في التشبيهات : ١٥٤ من باب في البخل .

شرح :

(٣) الزِّقّ : وعاء من جِلْد يُجَزّ شعرُه ولا يُنْتَف ، للشراب وغيره .

[٥٤]

نقل ابنُ حيّان في ترجمة تمام بن عامر الثقفي أنه كان أديباً شاعراً وزيراً ، استوزره الأمير ثم أعفاه . وتوسل للعودة إلى الخدمة بذمامه وحرّكه بالشِّعر . وزاد إعجاب الأمير به حين غَلَبَ (أيْدون) الفتى ، فتى الأمير ، بالشطرنج .

وكان (أيدون) بارعاً شديداً في لعبتها ، وغلب الأمير محمّداً وأعجزه . وتكرّر غلَبُ تمّام بن عامر لأيدون حتى أقرَّ بالعجز .

قال ابنُ حيّان ، فيما نقله من خبر تمام بن عامر :

« وذاعت في الناس قصّته (في أيدون بالشطرنج) فصار جُلُّ فتيانهم وأدبائهم من يومئذٍ يسعون لتعلّم لعبة الشطرنج ، ويحرصون على الحذق فيها طمعاً فيما أصاب تماماً من عائداتها ، فلذلك يقول الغزال من أبيات له خاطب بها إبراهيم ابنَ أُخته ، وكان ممّن لهج بها »(☆) :

[من مجزوء الرَّمل]

١ غَمَّني عِشْقُـــــكَ للشّطـ ـرَنـج [هـذا] يـا ابْرَهيمُ
٢ عمـــلٌ في غيرِ برٍّ واختـــلافٌ ولـــزُومُ
٣ إنّما أسَّسهـــا ويـ ـحـــكَ شيطـــانٌ رجيمُ
٤ هَبْـــكَ فيهـــا أَلْعَبَ النّـــا سِ فمـــاذا يـــا حَكيمُ ؟!
٥ لعبـــةُ الشّطرنـــجِ شـــؤمٌ فـــاجتَنِبْهـــا يـــا شـــؤومُ
٦ فليقـــل مـــا شـــاء من شـــا ء فقَـــولي مُستقيمُ
٧ إنمـــا جـــاءت بمُهْرٍ واحـــدٍ وهـــوَ وخيمُ
٨ والتي يُنزى عليهـــا الـ ـيـــوم مَنْ يُنْـــزى عقيمُ
٩ وسيَبْلـــو صِـــدقَ مـــا فَسَّـ ـرْتُ فيهـــا مَنْ يَرُومُ
١٠ إنّما هِيْ لأُنـــاسٍ شـــأنُهم شـــأنٌ عظيمُ :
١١ مَلِـــكٌ يُجْبَى إليـــهِ أو وَزيرٌ ، أو نـــديمُ !
١٢ أو رجـــالٌ وَرِثـــوا الأ مْـــوالَ للـــدَّهرِ سُلـــومُ !

١٣ فــــادّكِرْ مـــــا بيــــدِ القـــــا ئمِ عنْهــــــا إذْ يقـــــومُ
١٤ هــــل سِـــوى شَيءٍ يَسيرٍ مِن سُرورٍ لا يَـــــدُومُ ؟
١٥ فــــإذا مــــا أبلــــغ البَيْـ ـتَ فَمَحســــورٌ مَلُــــومُ !

(☆) التخريج :

القصيدة في المقتبس : ١٨١

تعليق :

ـ أيدون الفتى كان خصياً من أهل الخدمة المقربين إلى الأمير محمد . وكان من رجال القصر .

[٥٥]

وقال(☆) : [من البسيط]

١ إقْرَ السَّــلامَ على إلفٍ كَلِفْتُ بِـــــه قـد رُمتُ صَبْراً وطُولُ الشّوق لم يَرِمِ
٢ ظبيٌ تبــاعــدَ عن قُربي وعن نظَري فــالنفسُ والهــةٌ من شِــدَّةِ الألمِ
٣ كنّــا كرُوحينِ في جسمٍ غِـذاؤهمـا مــاءُ المحبّــةِ من هــامٍ ومُنسجمِ
٤ إلفينِ هــــذا بهــــذا مغرمٌ كَلِفٌ وواحـــدٌ في الهـوى مِنــا بمُتّهمِ
٥ لله تلــكَ اللّيــالي والسُّرور بهــا كأنّما أبصرتْهـــا العينُ في الْحُلمِ !
٦ ففرّقَ الــدهرُ شمـلاً كان مُلتئمـاً منّـا وجمّـعَ شمـلاً غيرَ مُلتئمِ
٧ مـازلتُ أرعى نجومَ اللّيلِ طـالعـةً أرجو السلوَّ بهـا إذْ غبتُ عن نجمي
٨ نجمٌ من الْحُسنِ مـا يجري بـه فَلـكٌ كأنّـه الـدرُّ واليـاقـوتُ في النَّظمِ
٩ ذاك الـذي حـازَ حُسنـاً لا نظيرَ لـه كالبـــدرِ نُـوراً عَـلا في مَنزل النّعمِ

(☆) التخريج :

القصيدة في العقد : ٢٥٢/٣ ـ ٣٥٢

شروح :

(١) قد رمتُ صبراً : طلبته . ولم يرم (الشوق) : لم يفارق .

(٢) همت العين (تهمي) : صبّت دموعها . وانسجم : انصبّ .

١٠ وقـد تنـاظر والبرجيس في شرَفٍ وقـارَن الـزّهرة البيضـاءَ في تـوم
١١ فـذاكَ يُشبهـه في حُسنِ صـورتِـه وذا يَـزيـدُ بحـظٍّ الشّعرِ والقَلمِ
١٢ أشكـو إلى الله مـا ألقى لِفُرقتِـه شكـوى مُحِبٍّ سقيمٍ حـافـظِ الـذّمم
١٣ لـو كنتُ أشكـو إلى صُمّ الهِضـاب إذاً نفطّرتْ لِلّـذي أُبـديـه من ألمٍ !
١٤ يـا غـادراً لم يـزلْ بـالغـدرِ مُرتـديـاً أيْنَ الـوفـاءُ أبنْ لي غيرَ مُحتشمِ
١٥ إنْ غابَ جسمُك عن عيني وعن نَظري فـمـا يغيبُ عن الأسرار والـوَهمِ
١٦ إنِّي سأبكيـك مـا نـاحَتْ مُطـوّقَـةٌ تَبكي أليفـاً على فَرعٍ من النَّشمِ

(١٠) البرجيس : المشتري . والتؤم ، وتسهّل ، المولود مع غيره في بطن واحد .
(١٦) النّشم : شجر . قال في الوسيط : شجر من الفصيلة الزيزفونية كانت تتّخذ منه القسّي ، واحدته نشمة .

[٥٦]

خرج قاسم بن العباس وتمام بن أحمد بن أبي العطاف ـ أيام الأمير محمد ـ سنة ٢٣٩ إلى الشمال في جنود وحَشم ، فدارت عليها هزيمة من بعض المُنتزين قرب طليطلة ... وعيَّر الناس ابن أبي العطاف وصاحبه قائدي خيل السلطان بقبح فرارهما ... فقال يحي الغزال في ابن أبي العطاف منها ، ووصف سرعة فرسه لبعد ما قطع من طليطلة(☆) إلى أُبّدة(☆☆) ، فملّح ما شاء(☆) :

[مجزوء الرَّمل]

١ جللوا بالورد ....
٢ [واجعلـوا] اللـؤلـؤ واليـا قـوتَ منـهُ في اللّجـامِ
٣ وادهنوا ....
٤ .... للإمامِ

(☆) **التخريج :**
النص في المقتبس (٢٩٤) . ولم يبق من الورقة المتآكلة غير ما أثبت ، غير أنّه يفيد في تبيين جانب الغزال الساخر ، ونقده اللاذع .

الشروح :

(☆) طليطلة : كانت كبرى مدن موسطة الأندلس وهي مدينة منيعة تقع على نهر التاجة ، وكانت بعد سقوط دولة بني أمية مركز دويلة لبني ذي النون .
(انظر الروض المعطار : ٣٩٣ .. وما بعدها) .

(☆☆) أُبَّدة : بلدة من أعمال جَيَّان ذكرها ابن سعيد في المغرب (٢ : ٧٥) ونقل عن الرازي شيئاً من وصفها وهي مدينة قريبة من بيَّاسة . وهي من بنيان عبد الرحمن الأوسط المرواني .
(انظر الروض المعطار : ٦) . ويقال فيها : أُبَدة وأُبَّذة ـ بالمهملة والمعجمة ـ

خاطرة :

خطر لي أنْ أتصور تتمة للنَّصّ فقلت :

١ جَلِّلُوا بالورد والريحان سَبَّاق الزحام
٢ وانظموا اللؤلؤ والياقوتَ منه في اللجام
٣ وادْهَنُوا بالطِّيبِ هاديه وحَيّوا بالبَشام
٤ فرسٌ جَلَّى وقَدْ ولْلَى إلى دارِ الإمام

[٥٧]

وقال(☆) : **[من الخفيف]**

١ فإذا ما نظرتُ في عُرضِ النّا سِ كأنّي أراهُم في الظَّلامِ
٢ وكأنّ الَّذي أُصيبُ على الأيّا مِ شيءٌ أصبتُه في الْمَنامِ

(☆) **التخريج :**
البيتان في كتاب التشبيهات : ٦٦ ، من باب في الاعتبار بفناء الناس وتقلّب الدهر بهم .

[٥٨]

وقال(☆) : **[من المتقارب]**

١ إذا كنْتَ ذا ثَروةٍ من غِنىً فــأنت الْمُسَــوَّدُ في العــالَمِ
٢ وحسبُــك من نَسبٍ صــورةٌ تخبّرَ أنّــكَ من آدمٍ !

(☆) التخريج :

البيتان في بهجة المجالس : ٢٠٨/١

[٥٩]

[في هذه القطعة عذل شديد لبعض الفُقَهاء الَّذين يشك الشاعر في مصادر غناهم ، ويشير بأصابع الاتّهام إليهم ؛ ويطلبُ منهم تحرّي الرّزق الحلال ، وعدم استغلال نفوذهم المعنوي ، وعدم التّهاون] .

وقال(☆) : **[من الخفيف]**

١ لست تلقى الفَقِيْــهَ إلاّ غنيّــاً ليتَ شِعري من أيْنَ يستغنــونــا ؟
٢ نقطــع البَرَّ والبِحــارَ طــلابَ الرِّ‥‥‥زْقِ ، والقــومُ هــا هنــا قــاعِـدُونــا
٣ إنَّ للقَــوْمِ مَضْرِبــاً غــابَ عَنّــا لم يُصِبْ قَصْــدَ وَجْهِــه الرّاكبــونــا !

(☆) التخريج :

القطعة في مقالة للأستاذ محمد عبد الله عنان نقلاً عن أوراق مخطوطة كانت في مكتبة المستشرق ل . بروفنسال . **(مجلة الثقافة ـ القاهرة)** .

[٦٠]

وقال(☆) : **[من مجزوء الوافر]**

١ لقــدْ فســدتْ فمــا تَلْقى بهــا مَن لَيْسَ ذا شَجَنِ
٢ وصــارَ الحيُّ مِنّــا يَغْـ ـبِــطُ الملفــوفَ في الكَفَنِ !

(☆) **التخريج :**

البيتان في بهجة المجالس : ٢٨٦/١

شرح :

(١) لقد فسدت ، يعني الدُّنيا ، وأعادَ الضميرَ عليها ولم يسبق لها ذِكر لدلالة المقام عليها .

(٢) غَبَطَه : تمنّى مثل مالَهُ من النّعمة مِن غير أن يريد زوالَها عنه .

[٦١]

وقال(☆) : **[من الطويل]**

١ ويـــــا ليتَ شِعري أيُّ شيء محصّــــلٌ يُرى شخصُ من قَـدْ مـاتَ وهـو دفينُ

٢ أَهُــوْ هُــوَ أَمْ خَلْــقٌ شبيــةٌ بمـــا رَأى فهَــل للقلــوبِ النَّــائمــات عيــونُ ؟

٣ وكيف يرى ؟ والعينُ قد مـات نُورهـا وواقعـةُ ـ شبــه الرُّقــاد ـ سكـونُ (؟)

٤ إذنْ كانتِ الأرواحُ من بعـــد بَيْنِهـــا بِهنّ إلى مـــــــــــا خَلفهنَّ حنينُ

(☆) **التخريج :**

القطعة في : دولة الإسلام في الأندلس ١/١ ـ ٢٥٠ ، وقدّم لها بقوله : « ولـه في ذِكر النفس والرّوح ... » . والأبيات ١ ـ ٣ في مجلة الثقافة بالقاهرة ونصّ عن النقل عن أوراق مخطوطة اطّلع عليها في مكتبة ل . بروفنسال . (مجلة الثقافة ـ القاهرة) .

توثيق :

ورد النص مضطرباً جدّاً . وقد حـاولت إعـادة قراءتـه بحسب سيـاقـه . ونبهت ، كما يتلو ، على رسم النص في المرجع الذي نقله .

قراءة :

١ . في الأصل : يا ليت ...

٢ . في الأصل : فقل للقلوب ...

٣ . في الأصل : شبه الوقار ...

٤ . في الأصل : لئن كانت .... بيتها ..

[٦٢]

وقال(☆) : [من الكامل]

١ إن الفتــاةَ وإنْ بَــدا لــكَ حُبُّهــا فَبقلبهــــا داءٌ عليــــكَ دفينُ
٢ وإذا ادّعينَ هــوِيَ الكبيرِ فــإنّما هــو للكبيرِ خـــديعــةٌ وقُرونُ !
٣ وإذا رأيتَ الشَّيــخَ يَهـوى كاعبــاً فعليــــهِ من دركِ القُرونِ دُيــونُ

(☆) التخريج :
الأبيات في بهجة المجالس ٤٢/٢ من باب في ذكر النساء وتزويج الأكفاء .
ـ قرأ د . إحسان عباس البيت الثالث : « فَعَليه من دَرك القرون زبون » .

[٦٣]

قال ابن دِحية في ختام ترجمة الغَزال :

« ومن الحقّ أن نختم ذِكره بما قال في الزُّهد ، فإنّه ـ عفا الله عنّا وعنه ـ عُمّر حتى قارب مئة عام ، وقيل أرْبى عليها ، وهو القائل(☆) :

[من الطويل]

١ ألستَ تَرى أنَّ الــزَّمـــانَ طَــواني وبَــــدَّل خَلْقِي كُلَّـــهُ وَبَراني
٢ تَحَيَّفَني عُضْــواً فَعُضْــواً فلم يَـــدعْ سـوى اسْمي صَحيحاً وحْدَهُ ولِسـاني
٣ ولــو كانَت الأسماءُ يَــدخُلهــا ألبِلى لقــد بَلِيَ اسْمي لامتــدادِ زَمــاني !
٤ ومــا ليَ لاأبلى لِتسعينَ حجَّــةً وسبــعٍ أتتْ من بعــدهــا سَنتــانِ
٥ إذا عنَّ لي شخصٌ تخيّــلَ دونَــه شبيــهُ ضبــابٍ أو شَبيــهُ دُخــانِ !
٦ فيـا راغبـاً في العيشِ إن كنتَ عـاقـلاً فــلا وَعْـظَ إلاّ دونَ لَحْـظِ عِيـانِ !

(☆) التخريج :
الأبيـاتُ في (المُطرب) : ١٤٠ ـ ١٥١ . والبيت الرابع في عصر سيادة قرطبة : (ومـا لي لاأبلى لسبعين حجة) وهو يعتمد على طبعة الخرطوم من كتاب المُطرب .

[٦٤]

وقال(☆) : [من مجزوء الوافر]

١ وإنْ أُعطيتَ سُلطـــــانـــــاً فحـــاذِرْ صـــولـــةَ الـــزَّمنِ
٢ أخـــو السُّلطـــانِ مـــوصـــوفٌ بِحُسْنِ الرأي والفِطَنِ
٣ فســاعـــة مـــا يُـــزاولـــهُ رمـــاهُ النّـــاسُ بـــاللَّعَنِ
٤ ويُصبـــحُ رأيـــهُ المحمـــو د منســـوبـــاً إلى الأفَنِ
٥ وتبصرُ في مَطِيَّتـــــــــهِ سقـــــوطَ العَيْنِ والأذُنِ
٦ كأنّ بشـــاشـــةَ السُّلْطـــا نِ حينَ تـــــزولُ لم تَكُنِ !

(☆) **التخريج :**
القطعة في (بهجة المجالس) ٣٤٨/١ من باب السلطان والسياسة .

شروح :

(٣) زاوَلَهُ : يُريدُ زالَ عَن سلطـانـه وزالَ سلطـانُـه عنـه . اللَّعْنُ : معروف ، وحرّك الرّاءَ للضّرورة .

(٤) الأَفَنُ : نَقْصُ العَقل .

[٦٥]

وقال(☆) : [من الخفيف]

١ أنـا شيـخٌ ، وقلتُ في الشَّيـخِ مـا يعـ ـلَمـــهُ كلُّ أبلـــهٍ وذَهينِ
٢ كل شيـــخٍ تراه يكثُرُ من كسـ ـبِ الجـواري فخـذه لي بـالقُرونِ !

(☆) **التخريج :**
البيتان في (بهجة المجالس) ٤٢/٢

الملحق

[٦٦]

وأنشد (في المقتبس)(☆) : **[من المتقارب]**

١ وتحسبُ من خِبِّـــــــه أنّـــــــهُ ترَاهُ عنِ النَّـــــاسِ في غُربَــــهْ
٢ ومـــا ذاك منـــــهُ فـلا تـــأمَنُـو هُ إلاّ لتُمكنَـــــهُ الــــوثْبَــــهْ
٣ رأيتُ لـــــه نـــــاظِرَيْ هِرَّةٍ تراءى لهـــا الفـــأرُ في ثُقْبَـــهْ !

(☆) **التخريج :**

المقتبس (د. مكي ـ بيروت) ٥٨

تعليق :

قال في الحاشية : عند كلمة (وأنشد) : « ذهبت في قُطوع آخر الورقة بقية هذه العبارة التي تتضمّن اسم الشاعر صاحب الأبيات التالية ، ولو أننا نظن أن قائلها ينبغي أن يكون يحي بن الحكم الغَزال فهي بأسلوبه أشبه وإلى شعره أقرب ومن الواضح أنها في هجاء القاضي أسوار بن عقبة » .

والأسوار بن عقبة كان قاضياً ، وتوفي سنة ٢١٣ هـ .

و.... رَدٌّ :

قلت : أنا في شكٍّ من نسبةِ الأبيات إلى الغزال . وفي ترجمة الأَسوار أنّهُ كان على فضل وعلم ودين . وليس في ترجمته مَطْعَن . وما كان الغزال يتناول الفُضّلاء من الفقهاء ، وما كان يتعرّض لهم إلا من مطاعن معلومة فيهم ، ظاهرة . قال ابن حيّان فيه : « وكان من أهل التّحري والتواضع وحسن السيرة واقتفاء السّلف .. » . أمّا الأسلوب فقريبٌ إليه ؛ ولعلَّ الأبيات في غير الأَسوار .

[٦٧]

قال الإمام ابن حزم في (رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق) : « وعلم العدد الذي تكلم فيه أندروماخش مؤلف كتاب الارثماطيقي في طبائع العدد ومَنْ نحا نحوه . وهو علم حسن صحيح برهاني . إلا أن المنفعة به إنما هي في الدنيا فقط : في قسمة الأموال على أصحابها ونحو هذا . وكل ما لانفع له إلا في الدنيا فهي منفعة قليلة (وفي رواية : تافهة) لسرعة خُروجنا من هذه الدار ، ولامتناع البقاء فيها ، وكلّ ما ينقضي فكأنه لم يكن . وكما يقول يحي(☆) :

[من الطويل]

١ وما هذهِ الدُّنيا سوى كَرِّ لحظةٍ ... يُعَدُّ بها الماضي وما لَمْ يَحِنْ بعدُ

٢ هي الزّمنُ الموجود لا شيءَ غيرُه ... وما مَرَّ والآتي، عديمان يا دعدُ!

(☆) **التخريج :**

رسائل ابن حزم (تحقيق د . إحسان عباس) ١٣٢/٣ (طبعة بيروت ١٩٨١ م) .

ـ قال الدكتور عباس : ولعلّ الشاعر هو يحي بن حكم الجياني الملقب بالغَزال . وهو شاعر أندلسي حكيم .

فهرس القوافي

الفهرس

كتب للمحقق من منشورات دار الفكر

- الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف ، لابن السيد البطليوسي (تحقيق) .
- تحرير التنبيه (معجم لغوي للإمام النووي) .
- تفسير الرازي (أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل) .
- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء للسبتي .
- التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي .
- الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي (تحقيق) .
- الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة لابن السيد البطليوسي (تحقيق) .
- رسائل ابن أبي الخصال (تحقيق) .
- ديوان ابن عبد ربّه (جمع وتحقيق وشرح) .
- الحماسة المغربية (جزآن) لأبي العباس أحمد بن عبد السلام .
- ديوان أبي إسحاق الإلبيري (تحقيق وشرح) .
- الكنايات العامية الشامية واصولها الفصيحة ، معجم العامي الفصيح من كلام اهل الشام .
- المختار من الشعر الأندلسي .